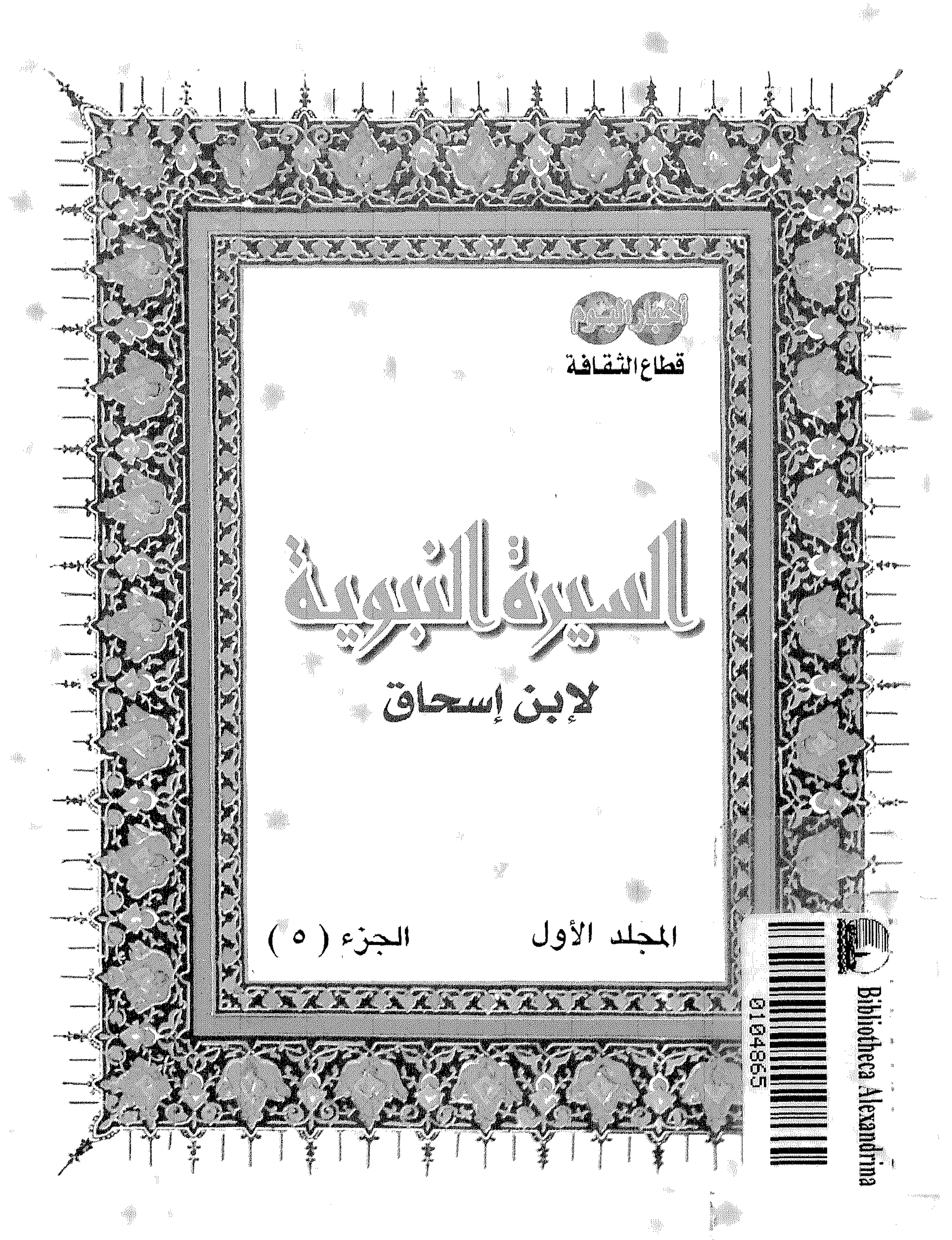

أخبار اليوم
قطاع الثقافة
السيرة النبوية
لابن إسحاق
المجلد الأول
الجزء (٥)



أصنامنا ، فقربتها له ، وأنا غلام شاب ، فقلت : كل من هذا الطعام أى عم ، قال: فلعلها أى ابن أخى من ذبائحكم هذه التى تذبحـــون لأوثانكم ؟ فقلت : نعم ، فقال : أما إنك يا ابن أخي لو سألت بنات عبد المطلب أخبرتك أنى لا آكل هذه الذبائح ، فلا حاجة لى بها ، ثم عاب على الأوثان ومن يعبدها ويذبح لها ، وقال : إنما هى باطل لا تضر ولا تنفع [(١)] أو كما قال ·

قال : قال رسول الله ﷺ : فما تمســـست بوثن منها بعد ذلك على معرفة بها ، ولا ذبحت لها حتى أكرمنى الله عز وجل برسالته ﷺ ·

نا أحمد : نا يونس عن المسعودى عن نُفيل بن هشام عن أبيه قال : مر زيد بن نُفيل على رسول الله ﷺ وعلى زيد بن حَارثة ، فدعواه إلى سفرة لهما ، فقال زيد : يا ابن أخى إنى لا آكل ما ذُبح على النصب ، قال : فما رئى رسول الله ﷺ بعد ذلك اليوم يأكل شيئًا ذبح على النصب ·

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وقد كان زيد أجمع على الخروج من مكة يضرب فى الأرض ، يطلب الحنيفية دين إبراهيم ، فكانت امرأته صفية ابنة الحضرمى كلما أبصرته قد نهض إلى الخروج وأراده ، آذنت به الخطاب بن نفيل ، فخرج زيد إلى الشام يلتمس ويطلب فى أهل الكتاب الأول دين إبراهيم ، ويسأل عنه ، فلم يزل فى ذلك حتى أتى الموصل ، أو الجزيرة كلها ، ثم أقبل حتى أتى الشام ، فجال فيها حتى أتى راهبًا ببيعته من أرض البلقاء كان ينتهى إليه علم النصرانية ، فيما يزعمون ، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم ، فقال الراهب : إنك لتسأل عن دين ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ، لقد درس علمه ، وذهب من يعرفه ، ولكنه قد أظلك خروج نبى يبعث بأرضك التى خرجت منها بدين إبراهيم ، الحنيفية ، فعليك ببلادك فإنه مبعوث الآن ، هذا زمانه ، وقد كان شام اليهودية والنصرانية ، فلم يرض شيئًا منهما فخرج سريعًا – حين قال له الراهب ما قال – يريد مكة ، حتى إذا كان بأرض لخم ، عدوا عليه فقتلوه فــقال ورقة بن نوفل ، وكان قد اتبع مثل أثر زَيد ، ولم يفعل فى ذلك ما فعل ، فبكاه ورقة فقال :

رَشِدتَ وأَنْعَمتَ ابن عمرو وإنما ... تَجنَّبْتَ تَنــورًا مــن النار حَامِيَا

بِدينك رَبًّا لَيس رَبٌّ كَمثــــــله ... وَتَرْكُك أوثان الطَوَاغى كَمــا هِيَا

---

(١)لم يفعل ذلك قبلها ولا بعدها فهو فى حفظ الله وكلاءته من يوم ولد بل وقبل أن يولد·

وَقَد تُدرك الإنسانَ رَحمَـــةُ رَبِّه وَلو كان تحت الأَرض ستين وَادِيَا

* ثناء الرسول ﷺ على زيد بن نفيل

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، أو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمى أن عمر بن الخطاب ، وسعيد بن زيد قالا : يا رسول الله نستغفر لزيد ؟ فقال : نعم ، فاستغفروا له ، فإنه يبعث أمة وحده ·

نا أحمد : نا يونس عن المسعودى عن نُفيل بن هشام عن أبيه أن جده سعيد بن زيد سأل رسول الله ﷺ عن أبيه زيد بن عمرو فقال : يا رسول الله إن أبى زيد بن عمرو كان كما رأيت ، وكمـا بلغك ، فلو أدركك آمن بك ، فأستغفر له ؟ قال : نعم ، فاستغفر له فإنه يجىء يوم القيامة أمة وحده ، وكان فيما ذكروا يطلب الدين ، فمات وهو فى طلبه ·

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكان حين أراد الله عز وجل كرامة نبيه ﷺ ورحمة العباد به واتخـاذ الحجة عليهم ، والعرب على أديان مختلفة متفرقة ، مع ما يجمعهم من تعظيم الحرمة ، وحج البيت ، والتمسك بما كان بين أظهرهم من آثار إبراهيم ﷺ ، وهم يزعمون أنهم على ملته ، وكانوا يحجون البيت على اختلاف من أمرهم فيه ·

* من حديث الحُمس :

فكانت الحُمس : قريش وكنانة ، وخزاعة ، ومن ولدت قريش من سائر العرب يُهلون بحجهم ، فمن اختلافهم أن يقـولوا : لبيك ، لا شريك لك إلا شريك هو لك ، تملكه وما ملك · فيوحدونه بالتلبية ، ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده - يقول الله عز وجل لمحمـد ﷺ : ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** ﴾ (١) ولا يخرجون من الحرم ولا يدفعون من المزدلفة ، يقولون : نحن أهل الحرم ، فلا نخرج منه ، وكانوا يسكنون البيوت إذا كانوا حُرمًا ، وكان أهل نجد من مضر يهلون إلى البيت ويقفون على عرفة (٢) ·

---

(١) سورة يوسف : الآية ١٠٦ ·

(٢) كان حق هذا الموضوع أن يأتى فى الفصل السابق أثناء الحديث عن الحُمس ، ولكن تركناه هنا كما فى الأصول التى بين أيدينا ·

* **الرسول ﷺ والخلوة :**

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى محمد بن شهاب الزهرى عن عروة عن عائشة أنها قالت : أول ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من النبوة حين أراد الله عز وجل كرامته ورحمة العباد به ألا يرى شيئًا إلا جاءت كفلق الصبح . فمكث على ذلك ما شاء الله عز وجل أن يمكث ، وحبب الله عز وجل إليه الخلوة ، فلم يكن شىء أحب إليه من أن يخلو وحده .

* **غار حراء ونزول الوحى :**

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنـــى عبد الملك بن عبد الله ابن أبى سفيان بن العلاء بن جارية الثقفى ، وكان واعية ، عن بعض أهل العلم أن رســـول الله ﷺ حين أراد الله عز وجل كرامته ، وابتدأه بالنبوة ، كان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه وسمع منه ، فيلتفت رسول الله ﷺ خلفه وعن يمينه وعن شماله فلا يرى إلا الشجر وما حوله من الحجارة وهى تحييه بتحية النبوة : السلام عليك ، رسول الله ، فكان رسول الله ﷺ يخرج إلى حراء فى كل عام شهرا من السنة ينسك فيه ، وكان من نـــسك فى الجاهلية من قريش يطعم من جاءه من المساكين ، حتى إذا انصرف من مجاورته وقضاه لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة حتى إذا كان الشهر الآخر الذى آراد الله عز وجل ما آراد من كرامته من السنة التى بعثه فيها ، وذلك شهر رمضان ، فخرج رسول الله ﷺ كما كان يخرج لجواره ، وخرج معه بأهله ، حتى إذا كانت الليلة التى أكرمه الله عز وجل فيها برسالته ، ورحم العباد به جاءه جبريل بأمر الله تعالى ، فقال رســـول الله ﷺ : جاءنى وأنا نائم فقال : اقرأ ، فقلت : وما أقرأ ؟ حتى ظننت أنه الموت ، ثم كـــشطه عنـــى فقال : اقرأ ، فقلت وما أقرأ ؟ فعاد لى بمثل ذلك ثم قال : اقرأ فقلت : وما أقرأ ؟ وما أقولها إلا تنجيا أن يعود لى بمثل الذى صنع بى فقال :

﴿ **اقرأ بسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكـــرم * الذى علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ ثم انتهى فانصـــرف عنى ، وهببت من نومى [(١)] وكأنما صوّر فى قلبى كتاب ، ولم يكن فى خلق الله عز وجل أحد أبغض إلى من شاعر أو مجنون ، كنت لا آطيق أنظر إليهما ، فقلت : إن الأبعد - يعنى نفسه ، ﷺ لشاعر أو مجنون ، ثم قلت : لا تحدث قريش عنى بهذا أبدًا ، لأعمدن إلى حالق من الجبل ، فلأطرحن نفسى منه ، فلأقتلنها ، فلأستريحن ، فخرجت ما أريد غير ذلك ، فبينا أنا عامد لذلك سمعت مناديًا ينادى

---

(١) لم يكن نائما على أصح الأقوال بل كان فى كامل وعبه .

من السماء يقول: يا محمد ! أنت رسول الله ، وأنا جبريل ، فرفعت رأسى إلى السماء أنظر ، فإذا جبريل فى صورة رجل صاف قدميه فى أفق السماء يقول : يا محمد ! أنت رسول الله ، وأنا جبريل ، فوقفت أنظر إليه ، وشغلنى عن ذلك وعما أريد ، فوقفت ما أقدر على أن أتقدم ولا أتأخر ولا أصرف وجهى فى ناحية من السماء إلا رأيته فيها ، فما زلت واقفًا ما أتقدم ولا أتأخر حتى بعثت خديجة رسلها فى طلبى حتى بلغوا مكة ورجعوا، فلم أزل كذلك حتى كاد النهار يتحول ، ثم انصرف عنى ، وانصرفت راجعًا إلى أهلى حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفًا إليها ، فقالت : يا أبا القاسم أين كنت فوالله لقد بعثت رسلى فى طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا، فقلت لها: إن الأبعد لشاعر أو مجنون ، فقالت : أُعيذك بالله يا أبا القاسم من ذلك ، ما كان الله عز وجل ليفعل بك ذلك مع ما علم من صدق حديثك ، وعظم أمانتك ، وحسن خُلقك ، وصلة رحمك ، وما ذاك يا ابن عم ، لعلك رأيت شيئًا أو سمعته ؟ فأخبرتها الخبر ، فقالت : أبشر يا بن عم ، واثبت له ، فو الذى تحلف به إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة ، ثم قامت فجمعت ثيابها عليها .

* ورقة بن نوفل يخبر خديجة بأن محمداً خاتم الأنبياء :

ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل ، وهو ابن عمها ، وكان قد قرأ الكتب ، وكان قد تنصر ، وسمع التوراة والإنجيل ، فأخبرته الخبر ، وقصت عليه ما قص عليها رسول الله ﷺ أنه رأى وسمع ، فقال ورقة : قدُّوسٌ قدُّوسٌ ، والذى نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتنى يا خديجة ، إنه لنبى هذه الأُمة ، وإنه ليأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى عليه السلام ، فقولى له فليثبت ، ورجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته ما قال لها ورقة ، فسهل ذلك عليه بعض ما هو فيه من الهم بما جاءه فلما قضى رسول الله ﷺ جواره صنع كما كان يصنع ، بدأ بالكعبة فطاف بها ، فلقيه ورقة وهو يطوف بالكعبة ، فقال : يا ابن أخ أخبرنى بالذى رأيت وسمعت ، فقص عليه رسول الله ﷺ خبره ، فقال ورقة : والذى نفس ورقة بيده إنه ليأتيك الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى عليه السلام ، وإنك لنبى هذه الأمة ، ولتؤذَينَّ ، ولتُكذبن ، ولتُقاتلن ، ولتُنصرن ولئن أنا أدركت ذلك لأنصرنك نصرًا يعلمه الله ، ثم أدنى إليه رأسه فقبَّل يافوخه ، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله وقد زاده الله عز وجل من قول ورقة ثباتًا ، وخفف عنه بعض ما كان فيه من الهَم .

نا أحمد : نا يونس عن قُرَّة بن خالد قال : حدثني أبو رجاء العُطاردي قال : أول سورة نزلت على محمد ﷺ : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ .

*** ورقة ينشد شعراً مدحًا في الرسول ﷺ :**

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: وقد قال ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزى بن قُصي فيما كانت ذكرت له خَديجة من أمر رسول الله ﷺ، فيما يزعمون :

إنْ يَكُ حَقًّا يَا خَديجةُ فَاعْلَمي ... حَديثُك إيانا فَأَحمدُ مُرْسَلُ
وجبريلُ يَأتيه وميْكَالُ مَعهُمَا ... مِنَ الله وَحْيٌ يَشرحُ الصدْرَ مُنزلُ
يَفُوزُ به مَن فَازَ فيهَا بتوبَةٍ ... ويَشقى به العَاتى الغَوِىُّ المضَلل
فَريقَان مَنهُم فِرقَةٌ فى جِنَانه ... وأُخرى بأَحوازِ الجَحيم تُغللُ
إذا مَا دعوا بالويلِ فيها تَتَابعتْ ... مَقامع فى هاماتهم ثم من غل
فَسبحان من تَهْوى الرياحُ بأمرِه ... ومَنْ هُو فى الأيام مَا شاءَ يفعل
ومَنْ عرشُهُ فَوق السَموات كُلها ... وأقضاؤهُ فى خَلقه لا تُبدَّلُ

وقال ورقة فى ذلك أيضًا :

يَا لَلرجال لصَرف الدهرِ والقدَرِ ... وَمَا لشيء قَضاهُ اللهُ من غير
حَتى خَديجة تَدعونى لأُخْبرهَا ... ومَا لها بخفى الغَيب مِن خَبَرَ
جَاءت لتَسألَنى عنه لأُخبرها ... أَمرًا أَراهُ سَيأتى الناس من آخر
فَخبرتنى بأَمر قَد سَمعت به ... فيمَا مَضى من قَديم الدَهر والعُصَرِ
بَأن أَحْمَد يَأتيه فيُخبرهُ ... جبريلُ أَنَّكَ مَبعوثٌ إلى البَشرِ
فَقُلتُ عَلَّ الذى تَرجين يَنجزهُ ... لَكِ الإله فَرُجِّى الخيرَ وانتظرى
وَأرسليه إلينا كَى نُسائلُهُ ... عَنَ أمرِ مَا يرى فى النومِ والسَّهرِ
فَقال حين أَتانا مَنطقًا عَجَبًا ... يقَفُ منه أعالى الجلد والشعرِ
إنى رَأيتُ أَمين الله وَاجهنى ... فى صورة أكملت فى أهيب الصورِ
ثُمَّ استمر فَكاد الخوفُ يَذْعُرنى ... مما يسلم ما حَولى من الشَّجرِ
فَقلتُ ظَنِّى ومَا أدرى أَيصدقنى ... أَن سوف يُبعث يَتلو مُنْزلَ السور
وَسوف أُبليكَ إن أعلنتَ دَعوتهمْ ... مِنَ الجِهاد بَلا مَنٍّ ولَا كَدَرِ

حدثنا أحمد : نا يونس بن بُكَير عن محمد بن إسحاق قال : حدثنى عبد الله ابن أبى بكر عن جعفر قال كان رسول الله ﷺ تصيبه العين بمكة ، فتسرع إليه قبل أن ينزل عليه الوحى فكانت خديجة ابنة خويلد تبعث إلى عجوز بمكة ترقيه ، فلما نزل عليه القرآن فأصابه من العين نحو مما كان يصيبه فقالت له خديجة : يا رسول الله ألا أبعث إلى تلك العجوز فترقيك ؟ فقال : أما الآن فلا .

* الرسول يُحدِّث عن نفسه :

نا أحمد : نا يونس عن هشام بن عروة أن رسول الله ﷺ قال : ما من نبى إلا وقد رعى الغنم ، فقيل : وأنت يا رسول الله؟ ؟ قال : وأنا .

نا أحمد : نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبيه عن عبيدة النَّصرى قال: تفاخر رعاء الإبل ورعاء الغنم عند رسول الله ﷺ فأوطأهم رعاء الإبل غلبة ، فقال: ما أنتم يا رعاء النقد ، هل تحمون أو تصيدون ، ورسول الله ﷺ جالس ، فتكلم فقال : بعث موسى عليه السـلام وهو راعى غنم ، وبعث داود وهو راعى غنم ، وبعثت أنا ، وأنا راعى غنم أهلى بأجياد ، فغلبهم رسول الله ﷺ .

نا أحمد : نا يونس عن عبيد بن عُتيبة العَيْذى عن وهب بن كعب بن عبد الله ابن سُور الأزدى عن سَلمان الفارسى أنه سأل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنه ليس من نبى إلاَّ وله وصىٌّ وسبطان فمن وصيُّك وسبطاك ؟ فسكنت رسول الله ﷺ لم يرجع شيئًا ، فانصرف سلمان يقول : يا ويله يا ويله كلما لقيه ناس من المسلمين قالوا : مالك سلمان الخير ؟ فيقول سألت رسول الله ﷺ عن شىء ، فلم يرد علىَّ ، فخفت أن يكون من غضب ، فلما صلى رسـول الله ﷺ الظهر قال : ادن يا سلمان ، فجعل يدنو ويقول : أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله ، فقال : سألتنى عن شىء لم يأتنى فيه أمر ، وقد أتانى أن الله عز وجل قد بعث أربعة آلاف نبى ، وكان أربعة آلاف وصى وثمانية آلاف سبط ، فوالذى نفسى بيده لأنا خير النبيين ، وإن وصيى لخير الوصيين ، وسبطاى [1] خير الأسباط .

---

(١) ومن المعروف أن سبطا رسول الله ﷺ - هما سيدا شباب أهل الجنة الإمامان الحسن والحسين ابنا الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه والسيدة فاطمة الزهراء من خير نساء العالمين رضى الله عنها . انظر مناقبهم جمـيعاً فى فتح البارى كتاب مناقب الصـحابة وكتاب « ريحانة الرسول الإمام الحسين » تأليف المحققين ط . العلم والإيمان بالحسين .

آخر الجزء - يتلوه فى الثالث إن شاء الله : نا أحمد نا يُونُس عن ابن إسحاق قال : ثم بعث الله عز وجل محمداً رحمة للعالمين وكافة للناس .

والحمد لله حق حمده وصلواته على محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليمًا كثيرًا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *



القسم الثالث



بسم الله الرحمن الرحيم
توكلت على الله

* أخذ الله الميثاق على الرسل بالإيمان بمحمد ﷺ :

آخبرنا الشيخ أبو الحسين أحمد بن محمد النَّقور البزاز - قراءة عليه وأنا أسمع - قال : آخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص قال : قرئ على أبى الحسين رضوان بن أحمد وأنا أسمع قال : نا أبو عمر أحمد بن عبد الجبَّار العُطَاردى قال : نا يونس بن بُكَير عن محمد بن إسحاق قال : ثم بعث [١] ، الله عز وجل محمداً ﷺ رحمة للعالمين ، وكافة للناس ، وكان الله قد أخذ له ميثاقًا على كل نبى بعثه قبله ، بالإيمان به ، والتصديق له ، والنصر له على من خالفه ، وأخذ عليهم آن يؤدوا ذلك إلى من آمن بهم وصدقهم ، فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه ، يقول الله تبارك وتعالى لمحمد ﷺ : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم** ﴾ [٢] إلى آخر الآية . فأخذ الله ميثاق النبيين جميعًا بالتصديق له والنصر له على من خالفه ، فأدوا ذلك إلى من آمن بهم وصدقهم من أهل هذين الكتابين ، فبعثه الله بعد بنيان الكعبة بخمس سنين ، ورسول الله ﷺ يومئذ ابن أربعين سنة .

* ابتداء نزول الوحى :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فابتُدئ رسول الله ﷺ بالتنزيل فى شهر رمضان [٣] . يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **شهر رمضان الذى أُنزل فيه**

---

(١) ورد فى سيرة ابن هشام أن ابن إسحاق قال : إن رسول الله ﷺ بُعث على رأس أربعين من مولده عليه السلام ، وهذا مروي عن ابن عباس وجُبير بن مطعم وقباث بن أشيم ، وعطاء وسعيد بن المسيب ، وأنس بن مالك وهو صحيح عند أهل السير والعلم بالأثر .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٨١ .

(٣) ذكر ابن هشام فى سيرته أن ابن إسحاق ذكر أن رسول الله ﷺ كان يجاور - أى يعتكف أو يخلو بنفسه - فى هذا الشهر فى غار حراء من كل سنة يُطعم من جاءه من المساكين فإذا انتهى الشهر ، فأول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره يدخل الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعًا أو ما شاء الله ثم يرجع إلى بيته .

القرآن ﴾ [١] إلى آخر الآية ، وقال الله تعالى : **﴿ إنا أنزلناه فى ليلة القدر ﴾** [٢] إلى آخر السورة ، وقال : **﴿ حم * والكتاب المبين * إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين ﴾** [٣] ، وقال : **﴿ إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ﴾** [٤] ، وذلك « التقى » رسول الله ﷺ والمشركين ببدر .

* تاريخ غزوة بدر الكبرى :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى أبو جَعفر محمد بن على بن الحسين أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون يوم بدر صبيحة الجمعة لسبع عشرة من شهر رمضان [٥] .

نا أحمد : نا يونس عن أسباط بن إسماعيل بن عبد الرحمن قال : كان يوم بدر يوم الجمعة لسبع عشرة من شهر رمضان [٦] .

نا أحمد : نا يونس عن قرة بن خالد قال : سألت عبد الرحمن بن قاسم عن ليلة القدر ، فقال : كان زيد بن ثابت يعظم سابعة عشر ويقول : هي وقعة بدر .

نا أحمد : نا يونس عن بسر بن أبى حفص الكندى الدمشقى قال : نا مَكحول أن رسول الله ﷺ قال لبلال : ألا لا يغادرك صيام الإثنين ، وأوحى إلىَّ يوم الإثنين ، وهاجرت يوم الإثنين ، وأموت يوم الإثنين .

* تحديد ليلة القدر :

نا أحمد بن عبد الجبار قال : نا محمد بن فضيل عن عاصم بن كليب عن أبيه عن عبد الله بن عباس قال : كنت عند عمر بن الخطاب رحمه الله وعنده أصحابه ، فسألهم فقال : أرأيتم قول رسول الله ﷺ فى ليلة القدر « التمسوها فى العشر الأواخر وترًا » أى ليلة ترونها ؟ فقال بعضهم : ليلة إحدى ، وقال بعضهم : ليلة ثلاث ، وقال بعضهم: ليلة خمس، وقال بعضهم: ليلة سبع ، وأنا ساكت ، فقال :

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٥ .　　(٢) سورة القدر : الآية الأولى.

(٣) سورة الدخان : الآيات ١ - ٣ .　　(٤) سورة الأنفال : الآية ٤١ .

(٥) وكانت فى السنة الثانية من الهجرة المباركة ، ونصر الله رسوله وجنده ، وكان عددهم قليلا لا يجاوز الثلاثمائة ، وعدد المشركين أضعافهم ، وأنزل فيهم قوله : **﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئةكثيرة بإذن الله ﴾** .

(٦) كان حق الحديث عن غزوة بدر ألا يأتى هنا نظرًا للترتيب الزمنى للأحداث لأنها وقعت بعد الهجرة للمدينة المنورة فى السنة الثانية من الهجرة ولكنه بمناسبة ذكره لنزول القرآن وغزوة بدر فى شهر رمضان.

مالك لا تتكلم ؟ فقلت : إنك أمرتنى ألا أتكلم حتى يتكلموا ، فقال : ما أرسلت إليك إلا لتتكلم ، فقال : إنى سمعت الله يذكر السبع فذكر : ﴿ **سبع سموات ومن الأرض مثلهن** ﴾ [١] ، وخلق الإنسان من سبع ، ونبات الأرض من سبع ، فقال عمر : هذا أخبرنى ما أعلم ، أرأيت ما لا أعلم قولك نبات الأرض من سبع ؟ قال : قلت : قال الله : ﴿ **شققنا الأرض شقًّا * فأنبتنا فيها حبًّا * وعنبًا وقضبًا * وزيتونًا ونخلاً * وحدائق غلبًا** ﴾ « فالحدائق غلبًا » الحيطان من النخل والشجر ، ﴿ **وفاكهة وأبًّا** ﴾ [٢] ، قال: الأبُّ ما أنبتت الأرض مما تأكل الدواب والأنعام ولا يأكل الناس ، فقال عمر لأصحابه : أعجزتم أن تقولوا كما قال هذا الغلام الذى لم تجتمع له شؤون رأسه ، والله إنى لأرى القول كما قال ·

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : تتام الوحى إلى رسول الله ﷺ وهو مؤمن بالله ومصدق لما جاءه ، قد تقبله بقول ، وتحمَّل منه ما حمله الله على رضا العباد وسخطهم ، وللنبوة أثقال ومؤونة [٣] لا يحملها ولا يستطيعها إلا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله وتوفيقه لما يلقون من الناس ، وما يرد عليهم مما جاء به من عند الله تعالى ·

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى ربيعة بن أبى عبد الرحمن قال: سمعت ابن منبه وهو فى مسجد مِنى، وذكر له يُونُس النبى عليه السلام فقال : كان عبدًا صالحًا وكان فى خلقه ضيق ، فلما حملت عليه أثقال النبوة - ولها أثقال ، فلما حملت عليه تفسخ تحتها تفسخ الرُّبَع [٤] تحت الحمل الثقيل، فألقاها عنه وخرج هاربًا ·

نا أحمد : نا يونُس عن ابن إسحاق قال : كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدق ما جاء به ، فخفف الله بذلك عن رسول الله ﷺ ، لا يسمع شيئًا يكرهه من ردٍّ عليه ، وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرَّج الله عنه بها ، إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه ، وتصدقه وتهون عليه أمر الناس ، رحمها الله رضى عنها·

* الرؤيا الصادقة أول ما بدئ به رسول الله ﷺ :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : أول ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من النبوة حين أراد الله كرامته ورحمة

---

(١) سورة الطلاق : الآية ١٢ · (٢) سورة عبس : الآيات ٢٦ - ٣١ ·

(٣) أى مؤنة ، وهى التعب والشدة · (٤) أى الجمل الصغير ·

العباد به لا يرى شيئًا إلا جاءت كفلق الصبح [١] ، يمكث على ذلك ما شاء الله أن يمكث ، وحبب إليه الخلوة ، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده [٢] .

* الرسول ﷺ يخبر خديجة بنزول جبريل عليه :

نا أحمد : نا يُونُس عن يُونُس بن عمرو عن أبى مَيْسرة عمر بن شُرَحْبيل أن رسول الله ﷺ قال لخديجة : إنى إذا خلوت وحدى أسمع نداء وقد والله خشيت أن يكون هذا الأمر ، فقالت : معاذ الله ما كان الله ليفعل بك ذلك فوالله إنك لتؤدى الأمانة ، وتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، فلما دخل أبو بكر رحمه الله . وليس رسول الله ﷺ ، ثم ذكرت خديجة حديثه له ، فقالت : يا عتيق [٣] اذهب مع محمد إلى ورقة ، فلما دخل رسول الله ﷺ أخذ أبو بكر بيده : فقال : انطلق بنا إلى ورقة ، فقال : ومن أخبرك ؟ قال : خديجة .

* بين الرسول وورقة بن نوفل :

فانطلقا إليه فقصا عليه ، فقال : إذا خلوت وحدى سمعت نداء خلفى : يا محمد ، يا محمد ، فأنطلق هاربًا فى الأرض ، فقال له : لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ، ثم ائتنى فأخبرنى فلما خلا ناداه يا محمد قل : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين** ﴾ حتى بلغ ﴿ **ولا الضالين** ﴾ [٤] قل : لا إله إلا الله ، فأتى ورقة فذكر ذلك له ، فقال له ورقة : أبشر ثم أبشر ، فأنا أشهد

---

(١) أى تحققت كوضوح النهار ، والرؤيا الصادقة جزء من أربعين جزءًا من النبوة قالت عائشة ﵂ ، أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة ؛ فجاءه الملك فقال : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق** ﴾ أخرجه البخارى ، وعلى هذا فكما قال معظم المفسرين إن أول ما نزل من القرآن : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق** ﴾ ولمزيد من المعرفة انظر تفسير القرطبى ١٠ / ٧٤٥٧ ط . دار الغد العربى .

(٢) ورد أيضًا دليلا على نبوته ﷺ غير الرؤيا الصادقة ، تسليم الحجارة والشجر عليه ، فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله ، وكان ذلك قبل بعثه ، وقال ﷺ : « إنى لأعرف بمكة حجرًا كان يسلم علىَّ قبل أن يَنزل علىَّ » ذكر بعض الرواه أنه الحجر الأسود .

(٣) عتيق : اسم سيدنا أبى بكر الصديق ﵁ ، وورد فى سيرة ابن هشام أن خديجة هى التى ذهبت لابن عمها ورقة بن نوفل وقصت عليه القصة ، وأن ورقة قابل رسول الله ﷺ - وهو يطوف بالكعبة فطلب منه أن يخبره بما رأى ، وما سمع فأخبره ثم أخبره أنه نبى هذه الأمة ثم قبل يافوخه ، وأخبره أن قومه سيكذبونه ويؤذونه ويخرجونه ويقاتلونه ولئن عاش لينصرنه .

(٤) سورة الفاتحة : الآيات ١ - ٧ .

أنك الذى بشَّر بك ابن مريـــم ، وأنك على مثل [١] ناموس موسى ، وأنك نبى مرسل ، وأنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ، ولئن آدركنى ذلك لأجاهدن معك ؛ فلما توفى ورقة قال رسول الله : « لقد رأيت القس فى الجنة عليه ثياب الحرير لأنه آمن بى وصدقنى - يعنى ورقة » .

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه قال : سابَّ أخ لورقة ، فتناول الرجل ورقة فسبه ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال لأخيه : هل علمت أنى رأيت لورقة جنة أو جنتين ، فنهى رسول الله ﷺ عن سبه .

* تثبت خديجة ﵂ من الوحى وإيمانها بالرسول ﷺ :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى إسماعيل بن أبى حكيم مولى الزبير ، أنه حدث عن خديجة بنت خُوَيلد أنها قالت لرسول الله ﷺ ، فيما تثبته به ، فيما أكرمه الله به من نبوته : يا ابن عم هل تستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك ؟ قال : نعم ، فقالت : إذا جاءك فأخبرنى ، فبينا رســـول الله ﷺ عندها يومًا ، إذ جاء جبريل ، فرآه رسول الله ﷺ ، فقال : يا خديجة هذا جبريل قد جاءنى ، فقالت أتراه الآن ، فقال نعم ، قالت : فاجلس إلى شقى الأيسر فجلس ، فقالت هل تراه الآن ؟ قال : نعم ، قالت : فاجلس إلى شقى الأيمن ، فتحول فجلس ، فقالت : هل تراه الآن ؟ قال : نعم ، قالت : فتحول فاجلس فى حجرى ، فتحول رسول الله ﷺ فجلس ، فقالت : هل تراه الآن ؟ قال : نعم ، فتحسرت فألقت خمارها ورسول الله ﷺ جالس فى حجرها ، فقالت : هل تراه الآن ؟ قال : لا ، قالت : ما هذا الشيطان ، إن هذا لملك يا ابن عم فاثبت ، وأبشر ، ثم آمنت به ، وشهدت أن الذى جاء به الحق [٢] .

---

(١) الناموس : أى الوحى ، وقال بعض العلماء : صاحب سر الملك ، أو صاحب سر الخير ، والجاسوس صاحب ســـر الشر .

(٢) كانت ﵂ ، أول من آمنت بالرسول ، من النساء ، وصدقته ، وصدقت بما جاءه من الله ، وآزرته ، وكانت حقا نعم الزوجة ، ضربت أروع مثال لخير زوجة ، ونموذج نسائى فريد للزوجة الوفية المخلصة التى ضحت بالغالى والثمين وبكل ما تملك ، ووقفت بجانب زوجها ، فاستحقت أن تكون خير نساء العالمين ، واستحقت بشارة الله لها على لسان الرسول ﷺ : « أمرت أن أبشر خديجة ببيت فى الجنة ، من قصب - أى لؤلؤ مجوف - لاصخب فيه ولا نصب - أى لا تعب فيه » . فيا ليت نساء المسلمين يتأسين بها ويقتدين بها ، فكانت بحق أعظم زوجة وأعظم أم ﵂ .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فحدثت عبد الله بن الحسن [١] هذا الحديث ، فقال : قد سمعت فاطمة بنت الحسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة ، إلا أنى سمعتها تقول : أدخلت رسول الله ﷺ بينها وبين درعها ، فذهب عند ذلك جبريل عليه السلام ·

نا يونس عن زكريا بن أبى زائدة عن عَامر الشعبى قال : سئل رسول الله ﷺ متى استنبئت ؟ فقال : بين خلق آدم ونفخ الروح فيه ·

نا يونس عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع الأنصارى عن رجل عن سعيد بن المُسَيَّب قال : نزل الوحى على رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين ، فأقام بمكة عشرًا ، وبالمدينة عشرًا ·

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ونزل الوحى على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة ، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وبالمدينة عشرا [٢] ·

نا أحمد : نايونس عن ابن إسحاق قال : وأمر رسول الله ﷺ بالصبر لله على رسالته وتبليغ ما أمر به ·

* الرسول من أُولى العزم من الرسل [٣] :

نايونس عن عيسى بن عبد الله التميمى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية : ﴿ **فاصبر كما صبر أُولوا العزم من الرسل** ﴾ [٤] : نوح ، وهود ، وإبراهيم ، فأمر رسول الله ﷺ أن يصبر كما صبر هؤلاء ، وكانوا ثلاثة ورسول الله ﷺ رابعهم ، عليهم السلام ورحمة الله ، قال نوح : ﴿ **يا قوم إن كان كبرُ عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله** ﴾ [٥] إلى آخرها ، فأظهر لهم المفارقة ، وقال هود حين قالوا : ﴿ **إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إنى أُشهد الله واشهدوا أنى برئ مما تشركون** ﴾ [٦] فأظهر لهم المفارقة ، وقال عن إبراهيم : ﴿ **قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم** ﴾ [٧] إلى آخر الآية ، فأظهر لهم المفارقة ، وقال محمد : ﴿ **إنى نُهيت**

---

(١) هو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ·

(٢) وهذا هو المشهور والمتواتر المجزوم بصحته ، وما عليه الأئمة وغالبية العلماء ·

(٣) أولى العزائم : أى أصحاب الشدة والصبر وقوة التحمل وهم أعلى مراتب الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ·

(٤) سورة الأحقاف : الآية ٣٥ ·

(٥) سورة يونس : الآية ٧١ ·

(٦) سورة هود : الآية ٥٤ ·

(٧) سورة الممتحنة : الآية ٤ ·

أن أعْبُدَ الذين تدعون من دون الله ﴾ [١] فقام رسول الله ﷺ عند الكعبة ، فقرآها على المشركين فأظهر لهم المفارقة .

* انقطاع الوحى ونزول سورة « الضحى » :

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم فتر الوحى عن النبى ﷺ فترة [٢] من ذلك حتى شق عليه وأحزنه ، ثم قال فى نفسه مما أبلغ ذلك منه : لقد خشيت أن يكون صاحبى قد قلانى وودّعنى ، فجاء جبريل بسورة « والضحى » ، يقسم له به ، وهو الذى أكرمه : ﴿ **ما ودّعك ربك وما قلى** ﴾ فقال ﴿ **والضحى * والليل إذا سجى** ﴾ يقول : ﴿ **ما ودعك ربك وما قلى** ﴾ ما صرمك وتركك وما قلى : ما أبغضك منذ أحبك ، ﴿ **وللآخرة خير لك من الأولى** ﴾ أى ما عندى من مرجعك إلى خير لك مما عجلت لك من الكرامة فى الدنيا ، ﴿ **ولسوف يعطيك ربك فترضى** ﴾ من الفتح فى الدنيا والثواب فى الآخرة ، ﴿ **ألم يجدك يتيمًا فآوى * ووجدك ضالاً فهدى * ووجدك عائلاً فأغنى** ﴾ يعرفه ما ابتدأه به من كرامته فى عاجل أمره ومنّه عليه فى يتمه وعيلته وضلالته ، واستنقاذه من ذلك كله برحمته ﴿ **فأما اليتيم فلا تقهر * وأما السائل فلا تنهر** ﴾لا تكن جبارًا ولا متكبرًا ولا فاحشا فظًّا على الضعفاء من عباد الله :﴿**وأما بنعمة ربك فحدث**﴾أى بما جاء من الله من كرامته ونعمته من النبوة ، فحدث : اذكرها وادع إليها ، يذكره ما أنعم الله به عليه وعلى العباد من النبوة .

نا أحمد : نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن خديجة أنها قالت : لما أبطأ على رسول الله ﷺ الوحى جزع من ذلك جزعًا شديدًا [٣] ، فقلت له مما رأيت من جزعه : لقد قلاك ربك مما يرى من جزعك ، فأنزل الله ﴿ **ما ودعك ربك وما قلى** ﴾ .

* الرسول ﷺ يسأل جبريل عن غيبته :

نا يونس عن عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لجبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ **وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وما كان ربك نسيا** ﴾ [٤] .

---

(١) سورة الأنعام : الآية ٥٦ .
(٢) كانت فترة انقطاع الوحى سنتين ونصفاً تقريبًا .
(٣) أي حزن حزنًا شديداً . (٤) سورة مريم : الآية ٦٤ .

* جبريل يعلّم الرسول ﷺ الوضوء والصلاة :

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم إن جبريل أتى رسول الله ﷺ حين افترضت عليه الصلاة [١] ، فهمز له بعقبه فى ناحية الوادى فانفجرت منه عين ماء مزن ، فتوضأ جبريل عليه السلام ، ومحمد ينظر إليه ، فوضأ وجهه ومضمض واستنشق ومسح برأسه وأذنيه ورجليه إلى الكعبين ، ونضح فرجه ، ثم قام فصلى ركعتين ، وسجد أربع سجدات على وجهه ·

* الرسول ﷺ يعلّم خديجة الوضوء والصلاة :

ثم رجع النبى ﷺ قد أقر الله عينه وطابت نفسه ، وجاءه ما يحب من الله ، فأخذ بيد خديجة حتى أتى بها العين ، فتوضأ كما توضأ جبريل ، ثم ركع ركعتين وأربع سجدات هو وخديجة ، ثم كان هو وخديجة يصليان سرًّا ·

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى صالح بن كيسان عن عروة ابن الزبير عن عائشة أن الصلاة أول ما افترضت ركعتين ، ثم أكملت أربعًا ، وأثبتت للمسافر · قال : فحدثت ذلك عمر بن عبد العزيز ، فقال لعروة : حدثتنى أن عائشة كانت تصلى فى السفر أربعًا ، فجاء عروة فقلت فى نفسى لا يكون هذا بى ، فسألته عن الحديث ، فحدثه ، فقال عمر : ما أدرى ما أحاديثكم هذه ! ثم حول وركه ونزل عن سريره ودخل ·

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت : أول ما افترضت الصلاة ركعتين فأثبتت للمسافر وأكملت للمقيم أربعًا ·

نا يونس عن سالم مولى أبى المهاجر قال : سمعت ميمون بن مهران يقول : كان أول الصلاة مثنى مثنى مثنى [٢] ، ثم صلــى رسول الله ﷺ أربعًا فصارت سنة ، وأُقرت الركعتين للمسافر وهى تمام ·

* * *

(١) والصلاة هى أول ما فُرض على الرسول ﷺ - وذكر ابن إسحاق عن صالح بن كيسان عن عروة بن الزبير عن عائشة ﵂ ، قالت : افترضت الصلاة على رسول الله ﷺ أول ما افترضت عليه : ركعتين ، ركعتين ، كل صلاة ، ثم إن الله أتمها فى الحضر أربعًا وأقرها فى السفر على فرضها الأول ركعتين ·

(٢) يبدو والله أعلم أن هذه اللفظة زائدة وقد تكون تكرار خطأ من الناسخ لأن الصواب مثنى مثنى » أى اثنتين اثنتين ، فلا داعى لهذه الثالثة ، ويؤيد كلامنا الروايات السابقة لهذه الرواية ·

إسلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه

* الرسول ﷺ يعرض الإسلام علَى عليٍّ رضي الله عنه :

نا أحمد: حدثني يونس عن ابن إسحاق قال : ثم إن على بن أبى طالب جاء بعد ذلك بيومين فوجدهمـا يصليان ، فقال على: ما هذا يا محمد ؟ فقال النبى ﷺ : دين الله الذى اصطفى لنفسه وبعث به رسله فأدعوك إلى الله وحده ، وإلى عبادته ، وكفر باللات والعزى ، فقال له على : هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم فلست بقاض أمرًا حتى أحدث أبا طالب ، فكره رسول الله ﷺ أن يفشى عليه سره قبل أن يستعلن أمره ، فقال له : يا على إذا لم تسلم فاكتم ، فمكث على تلك الليلة ، ثم إن الله أوقع فى قلب على الإسلام، فأصبح غادياً إلى رسول الله ﷺ حتى جاءه فقال: ما عرضت على يا محمد؟ فقال له رسول الله ﷺ: تشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتكفر باللات والعزى وتبرأ من الأنداد(١)، ففعل على وأسلم، ومكث على يأتيه على خوف من أبى طالب، وكتم على إسلامه ولم يظهر به .

وأسلم زيد بن حارثة(٢) فمكث قريباً من شهر يخـتلف عليٌّ إلى رسول الله ﷺ .

• على ينشأ فى كنف الرسول :

وكان مما أنعم الله به على علي أنه كان فى حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام(٣) .

---

(١) جمع ند، وهو الشريك، والله واحد لا شريك له، ولا شريك معه، سبحانه وتعالى .

(٢) هو زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب الكلبى ، مولى رسول الله ﷺ وكان أول من أسلم وصلى بعد على .

(٣) ذكر ابن هشام فى سيرته أن ابن إسحاق قال : إن قريشا أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير ، فقال رسول الله - وكان ذلك قبل البعثة - للعباس عمه ، وكان من أيسر بنى هاشم ، إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هـذه الأزمة ، فانطلق بنا إليه فلنخفف عنه من عياله ، آخذ من بنيه رجلا وتأخذ أنت رجلا فنكلهما عنه ، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب ، فقالا إنا نريد أن نخفف عنـك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال لهما : إذا تركتمالى عقيلا فاصنعا ما شئتما فأخذ رسول الله ﷺ عليًّا فضمه إليه ، وأخذ العباس : جعفرا فضمه إليه ، فلم يزل على مع رسـول=

* **سن علىٍّ عند إسلامه :**

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنـــى عبد الله بن أبى نَجيح - قال : أراه عن مُجاهد - قال : أسلم على بن أبى طالب وهو ابن عشر سنين [١] .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى يحيى بن أبى الأَشْعَث الكِنْدى - من أهل الكوفة - قال : حدثنى إسماعيل بن إياس بن عَفيف عن أبيه عن جدِه عفيف أنه قال : كنت امرءًا تاجرًا فقدمت أيام منِي ، أيام الحج ، وكان العباس ابن عبد المطلب امرءًا تاجرًا ، فأتيته أبتاع منه وأبيعه ؛ قال فبينا نحن إذ خرج رجل من خباء [٢] يصلى فقام تجاه الكعبة ، ثم خرجت امرأة ، فقامت تصلى معه ، وخرج غلام ، فقام يصلى معه ، فقلت : يا عبَّاس ما هذا الدين ، إن هذا الدين ما ندرى ما هو ؟ فقال العباس : هذا محمد بن عبد الله يزعم أن الله أرسله وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه ، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به ، وهذا الغلام ابن عمه على بن أبى طالب آمن به؛ قال العفيف: فليتنى آمنت يومئذ وكنت أكون ثانيًا .

نا يونس عن يُوســـف بن صُهيب عن عبـــــد الله بن بُرَيْدَة قال : أول الرجال إسلامًا على بن أبى طالب ثم الرهط [٣] الثلاثة : أبو ذَرٍّ ، وبُريدة ، وابن عَمٍّ لأبَى ذَر .

* * *

= الله حتى بعثه الله تعالى نبيًّا فاتبعه على ، وآمن به ، وصدقه ، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه . وكان على أصغر من جعفر بعشر سنين . انظر سيرة ابن هشام ط . مكتبة الكليات الأزهرية تحقيق طه عبد الرءوف سعد .

(١) وكان كرم الله وجهه أول من آمن بالرسول من الغلمان ، أى الصِّبية .

(٢) أى خيمة .

(٣) الرهط : الجماعة من الثلاثة إلى العشرة .

إسلام أبى بكر الصديق رضي الله عنه [١]

* الرسول ﷺ يُعرض الإسلام على أبى بكر :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم إن أبا بكر لقى رسول الله ﷺ فقال : أحق ما تقول قريش يا محمد من تركك آلهتنا ، وتسفيهك عقولنا وتكفيرك آباءنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : يا أبا بكر إنى رسول الله ونبيه ، بعثنى لأبلغ رسالته وأدعوك إلى الله بالحق ، فوالله إنه للحق أدعوك إلى الله يا أبا بكر ، وحده لا شريك له ، ولا يعبد غيره ، والموالاة على طاعته أهل طاعته، وقرأ عليه القرآن ، فلم يفر ، ولم ينكر ، فأسلم وكفر بالأصنام وخلع الأنداد ، وأقر بحق الإسلام ، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق ·

* استجابته الفورية للإسلام :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمى أن رسول الله ﷺ قال : ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت له عنه كبوة [٢] وتردد ونظر إلا أبا بكر ما عتم حين ذكرته له ، وما تردد فيه ·

* إعلانه الإسلام رضى الله عنه :

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : فابتدأ أبو بكر أمره ، وأظهر إسلامه ، ودعا الناس ، وأظهر علي وزيد بن حارثة إسلامهما فكبر ذلك على قريش ·

وكان أول من اتبع رسول الله ﷺ خديجة بنت خُويلد ، زوجته ، ثم كان أول ذكر آمن به علي ، وهو يومئذ ابن عشر سنين ، ثم زيد بن حارثة ، ثم أبو بكر الصديق رضى الله عنهم ·

---

(١) هو : أبو بكر بن أبى قحافة ، واسمه عتيق ، واسم أبيه ، عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر ·

(٢) الكبوة : التأخر وعدم الإجابة ·

* **إيلاف قريش له :**

فلما أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه ودعا إلى الله ورسوله ، وكان أبو بكر رجلاً مآلفًا لقومه ، مُحببًا سَهلاً ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بما كان فيها من خير أو شر ، وكان رجلاً تاجرًا ، ذا خلق ومعروف ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر لعلمه وتجارته وحسن مجالسته [١] ، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه .

إسلام خمسة على يديه :

فأسلم على يديه فيما بلغنى الزُبير بن العوَّام ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عُبيد الله ، وسعد بن أبى وقَّاص ، وعبد الرحمن بن عَوْف ، ومعهم أبو بكر ، فانطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ ، فعرض عليهم الإسلام ، وقرأ عليهم القرآن ، وأنبأهم بحق الإسلام ، وبما وعدهم الله من كرامة فآمنوا ، وأصبحوا مقرين بحق الإسلام ، فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام فصلُّوا وصدَّقوا رسول الله ﷺ ، وآمنوا بما جاء من عند الله تعالى .

* * *

(١) قيل سمى عتيقًا لعتاقة وجهه وهو الحسن .

إسلام أبى ذر رضي الله عنه[1]

* ذهابه إلى مكة وسماعه الرسول وإسلامه ومن معه :

نا يونس عن يوسف بن صُهَيب عن عبد الله بن بُريدة قال : انطلق أبو ذر وبريدة ، معهما ابن عم لأبى ذر يطلبون رسول الله ﷺ ، وهو بالجبل مكتتم بطائفة من مكة ، وأتوه وهو نائم فى الجبل مسجًّا[2] بثوبه ، خارجة قدميه ، وكان رســول الله ﷺ من أحسن الناس قدمًا ، فقال أبو ذر : إن كان نبى بهذه البلاد فهو هذا النائم ، فمشوا حتى قاموا عليه ، ومع أبى ذر عَصًا يتَوكأ علـيها ، فقال أبو ذر : أنائم الرجل ، وكان رســول الله ﷺ نائمًا ، فلم يجبه رسول الله ﷺ ، ثم نادى أبو ذر : أنائم الرجل فلم يجبه ، ثم أعاد عليه أبو ذر : أنائم الرجل وغمز بعصاه فى باطن قدم رســول الله ﷺ فاستيقظ رسول الله ﷺ فقعد ، فقال له أبو ذر : يا محمد أتيناك لنسمع ما تقول ، وإلى ما تدعو ، فقال رسول الله ﷺ : أقول : لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، فآمن به أبو ذر وصاحباه وكان علي رضى الله عنه فى حاجة لرسول الله ﷺ أرسله فيها ·

* خيرية أمة محمد :

نا يونس عن جعفر بن حيان عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال : أنتم توفون بسبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله ·

* صفة رسول الله ﷺ فى التوراة :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى محمد بن ثابت بن شُرَحْبيل عن أم الدرْدَاء قالت : قلت لكَعب الحَبْر : كيف تجدون صفة رسول الله ﷺ فى التوراة ؟ قال : نجده محمدا رسول الله ، اسمه المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخَّاب[3] فى الأسواق ، وأُعطى المفاتيح ليبصر الله به أعينًا عورًا ، ويسمع به آذانًا وقرًا[4] ، ويقيم به ألسنًا معوجة ، حتى تشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يعين المظلوم ويمنعه ·

---

(١) هو أبو ذر الغفارى نسبة إلى قبيلة غفار ·

(٢) أى مُغطًى ·

(٣) جاء هذا الحديث فى صحيح البخارى بلفظ ولاصخَّاب ·

(٤) الوقر ثقل فى الأذن ·

* أسماء رسول الله ﷺ :

نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمرو بن مُرة عن أبى عُبيدة عن آبى موسى قال سمى لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماء منها ما حفظنا ، قال : أنا محمد وأحمد والمقفى ، والحاشر ، ونبى التوبة والملحمة .

* صفة رسول الله ﷺ فى الإنجيل :

نا يونس عن يونس بن عمرو عن العيزار بن حريث عن عائشة رضي الله عنها قالت : لَرسول الله ﷺ مكتوب فى الإنجيل ، لا فظ ، ولا غليظ ، ولا سخاب بالأسواق ولا يجزى بالسيئة مثلها ، ولكن يعفو ويصفح (١) .

* منزلة أمة محمد :

نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله عن زياد مولى مُصعب عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : مضت تسع وستون أمة وأنتم توفون سبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : أخبرنى الزهرى عن مُحمد بن جُبَير ابن مُطْعِم عن أبيه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لى خمسة أسماء : أنا محمد ، وأحمد ، وأنا الماحى الذى يمحو الله به الكفر ، وأنا العاقب ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدميه .

* * *

---

(١) ذكر ابن هشام أن ابن إسحاق ذكر أنه ورد عن عيسى عليه السلام . فى الإنجيل مخاطبًا أهل الإنجيل قائلاً : « فلو قد جاء المُنْحَمَنَّا ، هذا الذى يرسله الله إليكم من عند الرب ، وروح القدس ، هذا الذى من عند الربِ خرج ، فهو شهيد علىَّ ، وأنتم أيضًا – أى شهيد عليكم – لأنكم قديمًا كنتم معى فى هذا ، قلت لكما لكيما تشكوا » المنحمنا بالسريانية : أى محمد .

إسلامُ المُهَاجرين ﷺ

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم انطلق أبو عُبيدة بن الحارث ، وأبو سَلمة [١] بن عبد الأسد ، وعبد الله بن الأرقَم المخزُومى [٢] ، وعثمان بن مَظْعُون حتى أتوا رسول الله ﷺ فعرض عليهم الإسلام ، وقرأ عليهم القرآن ، فأسلموا وشهدوا أنه على هدى ونور ٠

ثم أسلم ناس من قبائل العرب منهم : سَعيد بن زَيد بن عَمْرو بن نُفيل ، أخو بَنى عَدِى بن كَعْب ، وامرأته فاطمة بنت الخطاب بن نُفَيل بن عبد العزَّى ، أخت عمر بن الخطاب ، وأسماء بنت أبى بكر ، وعائشة بنت أبى بكر وهى صغيرة ، وقُدَامة بن مَظْعُون ، وعبد الله بن مَظْعُون الجمحيان ، وخباب بن الأرت حليف بنى زهرة ، وعمير بن أبى وقاص الزهرى [٣] وعبد الله بن مسعود حليف بنى زهرة ، ومسعود بن القارى وسُليط بن عمرو أخو بنى عامر بن لُؤى ، وعيَّاش بن أبى ربيعة المخزُومي وامرأته أسماء بنت سَلامة بن مخرمة التميمى ، وخنيس بن حُذافة السهمى ، وعامر بن ربيعة حليف بنى عَدِى بن كَعْب ، وعبد الله بن جَحش الأسدى ، وأبو أحمد بن جحش ، وجعفر بن أبى طالب وامرأته أسماء بنت عُميس ، وحاطب بن الحارث الجمحى وامرأته أسماء بنت المحلل أخت بنى عامر بن لُؤى ، والخطاب بن الحارث وامرأته فكيهة بنتُ يسَار ، ومعمر بن الحارث بن معمر الجُمَحى ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، والمطالب بن أزْهَر بن عبد عوف الزهرى

(١) أبو سلمة أخو رسول الله ﷺ من الرضاعة ، كان من السابقين للإسلام وهاجر هو وامرأته إلى الحبشة وإلى المدينة ، مات بعد أُحُد ، وخلفه رسول الله ﷺ على زوجته أم سلمة ٠

(٢) من السابقين الأولين إلى الإسلام ، اتخذ الرسول ﷺ - داره مدرسة يلتقى بها بأصحابه يعلمهم القرآن وتعاليم الدين الحنيف وقواعد الإسلام الصحيح ٠

(٣) أخو سعد بن أبى وقاص أسلم مبكراً وهاجر الهجرتين وشهد بدراً قتله عمرو بن ود الذى قتله سيدنا علىٌ فى غزوة الخندق ٠

وامرأته رَمْلة بنت أبى عوف بن صَبِير بن سعد بن سهم ، والنحَّام واسمه نعيم بن أسد أخو بنى عَدِى بن كَعْب ، وعامر بن فُهيرة مولى أبى بكر الصديق (١) ، وخالد ابن سعيد بن العَاص وامرأته أُمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة من خُزَاعة ، وحاطب بن عَمرو بن عبد شمس أخو بنى عامر بن لُؤى ، وأبو حُذَيفة بن عُقْبة (٢) بن ربيعة ، وواقد بن فائد بن عبد الله بن عزيز بن ثعلبة التميمى حليف بنى عدى بن كعب ، وخالد بن البكير ، وعامر بن البكير ، وعاقل بن البُكير ، وإياس ابن البكير بن عبد الله بن ناشب من بنى سعد بن ليث ، حلفاء بنى عدى بن كعب ، وعمار بن ياسر حليف بنى مخزوم ، وصهيب بن سنان حليف بنى تميم .

ثم دخل الناس فى الإسلام أرسالا من النساء والرجال حتى فشا ذكر الإسلام وتُحدِّث به ، فلما أسلم هؤلاء النفر وفشا أمرهم بمكة أعظمت ذلك قريش ، وغضبت له ، وظهر فيهم لرسول الله ﷺ البغى والحسد ، وشخص له منهم رجال فبادوه (٣) العداوة ، وطلبوا له الخصومة منهم : أبو جهل بن هشام ، وأصحابه وأبو لهب (٤) ، وعبيد بن عبد يغوث ، وعمرو بن الطُّلاطلة ، والوليد بن المغيرة ، والعاصى بن وائل ، وأُمية بن خلف ، وأُبَى بن خلف ، وهو الذى أصاب وجه رسول الله ﷺ بمكة ، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، وأبو قيس بن الأسلت والحُضين ، أو الحُضير بن الحارث بن سعيد بن الحجاج وهو زهير بن أبى أمية بن المغيرة ، والسائب بن صيفى بن عائذ ، والأسود بن عبد الأسد ، والعاصى ابن سعيد ، وعُتْبة بن ربيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ، وأبو العاصى بن هشام ، وعقبة بن أبى مُعيط ، وأبو الأشد الهُذلى ، نطحته أروى فسقط فتقطع ، والحكم بن أبى العاصى ، وعدى بن جبر الثقفى ، وزمعة بن الأسود .

وكان الذين يؤذونه : أبو لهب ، وعُقْبة بن أبى مُعَيط ، والحكم بن أبى العاصى ، وعَدِى بن جبر الثقفى ، ورجل آخر .

---

(١) أسلم وهو عبد فأوذى فى الله كثيراً فاشتراه سيدنا أبو بكر وأعتقه ، وكان له دور كبير فى هجرة النبى ﷺ .

(٢) ذكر ابن هشام أن اسمه مهشم ، وقد أسلم مبكراً وهاجر الهجرتين وشهد بدراً ، وكان له موالى منهم سالم الذى كان يسمى سالم مولى أبى حذيفة ، وكان حافظا للقرآن .

(٣) أى أظهروا وأعلنوا له العداوة .

(٤) وكان عم رسول الله ﷺ وأنزل الله فيه سورة وبين فيها عقابه فى الآخرة هو وزوجته أم جميل ـ ﴿ تبت يدا أبى لهب وتب ﴾ .

قوله عز وجل ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ (١)

* أمر الله رسوله بتبليغ دعوته :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وكان الذى تنتهى إليه عداوة رسـول الله ﷺ ، ويجتمع إليه فيها أبو جهل ، حَسدًا وبغيًا ، لما خص الله به رسوله ﷺ من كرامته .

ثم إن الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يصدع (٢) بما جاء به ، وأن ينادى الناس بأمره ، وأن يدعو إلى الله تعالى ، وكان ربما أخفى الشىء ، واستسر به إلى أن أمر بإظهاره ، فلبث سنين من مبعثه ، ثم قال الله تعالى : ﴿ **فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين** ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين * واخفض جناحك لمن اتَّبعك من المؤمنين * فإن عصوك فقل إنى برئ مما تعملون** ﴾ (٤) .

نا أحمد : نايونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى من سمع عبد الله بن الحارث ابن نوفل واستكتمنى اسمه عن ابن عباس عن على بن أبى طالب ﵁ قال : لما نزلت هذا الآية على رسول الله ﷺ : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين * واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين** ﴾ قال رسول الله ﷺ : عرفت أنى إن بادأت بها قومى رأيت منهم ما أكره ، فصمت (٥) عليها ، فجاءنى جبريل فقال : يا محمد إنك إن لم تفعل ما أمرك ربك تعالى عذبك ربك ، قال على : فدعانى رسول الله ﷺ فقال : يا على إن الله قد أمرنى أن أنذر عشيرتى (٦) الأقربين فعرفت أنى إن بادأتهم

(١) سورة الشعراء : الآية ٢١٤ .

(٢) الصدع : أى التفريق بين الحق والباطل ، اصدع بما تؤمر : أي بالذى تؤمر لكنه لما عدى الفعل إلى الهاء حسن حذفها ههنا أحسن من ذكرها ، لأن ما فيها من الإبهام أكثر مما تقتضيه (الذى) وقولهم (ما) مع الفعل بتأويل المصدر راجع إلى معنى الذى إذا تأملته وذلك أن (الذى) تصلح فى كل موضع تصلح فيه (ما) المصدرية انظر الروض : الأنف ٢ / ٦ تحقيق طه عبد الرءوف سعد

(٣) سورة الحجر : الآية ٩٤ . (٤) سورة الشعراء : الآيات ٢١٤ - ٢١٦ .

(٥) أى سكت وما كان لرسول أن يسكت عما أمر به فإنه يجب عليهم التبليغ .

(٦) عشيرة الرجل بنو أبيه الأقربون وقبيلته .

بذلك رأيت منهم ما أكره ، فصمت عن ذلك حتى جاءنى جبريل [١] فقال : يا محمد إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك ، فاصنع لنا يا على رِجل شاة على صاع من طعام ؛ وأعد لنا عسّ لبن ، ثم اجمع بنى عبد المطلب ففعلت ، فاجتمعوا له وهم يومئذ أربعون رجلاً أو ينقصون ؛ فيهم أعمامه : أبو طالب ، وحمزة ، والعباس ، وأبو لهب الكافر الخبيث ، فقدمت إليهم تلك الجفنة فأخذ منها رسول الله ﷺ حذية فشقها بأسنانه ، ثم رمى بها فى نواحيها ، ثم قال : كلوا باسم الله ، فأكل القوم حتى نهلوا عنه ، فما رؤى إلا آثار أصابعهم ، والله إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها ، ثم قال رسول الله ﷺ : اسقهم يا على ، فجئت بذلك القعب فشربوا حتى نهلوا جميعًا ، وايم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله ، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال : لهد [٢] ، ما سحركم صاحبكم ! فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله ﷺ ، فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ يا على عد لنا بمثل الذى كنت صنعت لنا بالأمس من الطعام والشراب ، فإن هذا الرجل قد بدرنى إلى ما قد سمعت قبل أن أكلم القوم ، ففعلت ، ثم جمعهم له فصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالأمس ، فأكلوا حتى نهلوا عنه ، ثم سقيتهم فشربوا من ذلك القعب حتى نهلوا عنه ، وايم الله إن الرجل منهم ليأكل مثلها ، ويشرب مثله ، ثم قال رسول الله ﷺ : يا بنى عبد المطلب ، والله ما أعلم شابا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة [٣] .

*** الرسول ﷺ يصف نزول الوحى عليه :**

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : سأل الحارث بن هشام رسول الله ﷺ فقال : كيف ينزل عليك الوحى ؟ فقال

---

(١) جبريل عليه السلام هو سفير الله لرسله ، وحامل الوحى إليهم ، واسم جبريل سريانى ، ومعناه عبد الرحمن أو عبد العزيز ، هكذا جاء عن ابن عباس موقوفًا . وذهب بعض العلماء إلى أن : جبر اسمه ، إيل : اسم الله .

(٢) ربما تكون « صه » بمعنى اسكت .

(٣) أورد ابن هشام فى سيرته أن ابن إسحاق قال . وكان بين ما أخفى رسول الله ﷺ أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين .

رسول الله ﷺ : كل ذلك يأتينى الملك أحيانًا فى مثل صَلْصَلَة الجرس، وهــو أشقه [١] علىَّ ، فيفصم عنى قد وعيته ، ويتمثل لى الملك أحيانًا فى صورة رجل [٢] فيكلمنى فأعى ما يقول .

نا يونس عن عَبَّاد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحى ثقل عليه ، وتربَّد له جلده ، وأمسك الناس عن كلامه .

نايونس عن عمرو بن ذر عن مجاهد قال : كان إذا نزل القرآن على رسول الله ﷺ قرأه على الرجال ثم على النساء [٣] .

* الرسول يأمر أهله بالعمل الصالح :

نا يونس عن أبى مَعْشر عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : يا بنى عبد المطلب ، يا فاطمة بنت محمد ، يا صفية عمة رسول الله اشتروا أنفسكم من الله ، لا أغنى عنكم من الله شيئًا ، سلونى من مالى ما شئتم ، واعلموا أن أول آت يوم القيامة المتقون ، فإن تكونوا يوم القيامة مع قرابتكم فذاك وإياى لا يأتون الناس بالأعمال وتأتون بالدنيا تحملونها على أعناقكم فأصد وجهى عنكم ، فتقولون : يا محمد ، فأقول هكذا - فصرف وجهه ، فتقولون يا محمد فأقول هكذا - وصرف وجهه إلى الشق الآخر .

* خروج الرسول ﷺ بأصحابه للصلاة فى الشِّعب :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا

---

(١) أى أشده عليه ، قيل لأنه يستجمع قلبه عند تلك الصلصلة ، فيكون أوعى لما يســمع ، وألقن لما يلقى .

(٢) كان جبريل يأتيه فى صورة رجل هو : دحية بن خليفة الكلبى، وورد أيضًا أنه كان يأتيه أيضًا فى صورته التي خلقه الله عليها ، له ستمائة جناح ، ينتثر منها اللؤلؤ والياقوت .

(٣) وقد ورد عن النبى ﷺ أنه كان يخصص يوماً للنساء فى المسجد يلتقى بهن ويقرأ عليهن القرآن ويشرح لهن أمور الدين ويجيبهن على أسئلتهن ، وذلك أن النساء قلن للرسول ﷺ لقد غلبنا الرجال فاجعل لنا يومًا يا رسول الله ، فوافق الرسول ﷺ - وجعل لهن يوما ، ومن هنا رأى العلماء ضرورة تخصيص يوم للنساء بالمساجد لتعليمهن أمور دينهن ، وقد وفق الله الأزهر الشريف بأن خصص بعض مساجد الأوقاف ليقام فيها دروس للسيدات وذلك فى كل أنحاء الجمهورية منذ أربعين عامًا ومستمر حتى اليوم بفضل الله ويقوم علماء الوعظ والإرشاد بالأزهر الشريف بإعطاء هذه الدروس للسيدات حمى الله الأزهر الشريف بعلمائه منارة لمصر .

صلوا ذهبوا إلى الشِّعاب ، واستخفوا بصلاتهم عن قومهم ، فبينا سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في شعب من شعاب مكة ، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون ، فناكروهم [١] وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم ، واقتتلوا ، فضرب سعد بن أبي وقاص رجلاً من المشركين بلحى [٢] بعير فشجه [٣] ، فكان أول دم أهريق في الإسلام .

* عداوة قومه ومساندة أبي طالب له :

فلما رأت قريش رسول الله ﷺ لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم ، ورأوا عمه أبا طالب قد حدب [٤] عليه ، وقام دونه فلم يسلمه لهم ، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب فيهم عتبة بن ربيعة ، وشيبة ، وأبو سفيان ، وأبو البَخْتري ، والأسود بن المطلب ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل ، والعاصي بن وائل ، ومُنَبِّه ونبيه ابنا الحجَّاج ، أو من مشى فيهم .

* وفد قريش يعاتب أبا طالب على فعل ابن أخيه :

فقالوا : يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا ، وسفَّه أحلامنا ، وضلل آباءنا ، فإما أن تكفه عنا ، وإما أن تخلي بيننا وبينه فنكفيكه وإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فقال أبو طالب قولاً رقيقًا ، ورد ردًّا جميلاً ، فانصرفوا عنه .

* الرسول ﷺ يستمر في دعوته وقريش تظهر عداوتها للمسلمين :

ومضى رسول الله على ما هو عليه يظهر دين الله ، ويدعو إليه ، ثم إن قريشًا تآمروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله منهم رسوله بعمه أبي طالب [٥] ، وقد قال أبو طالب ، حين رأى قريشًا تصنع ما

---

(١) أي أنكروا عليهم فعلهم . (٢) لحى البعير : العظم الذي عليه الأسنان .

(٣) أي جرحه . (٤) أي عطف عليه ورق له .

(٥) والحق يقال إن أبا طالب ظل يدافع عن رسول الله ﷺ ويناصره حتى مات ولم يصب النبي ﷺ أذى إلا بعد موته ولذلك لما مات ثم بعد بفترة قليلة ماتت السيدة خديجة رضي الله عنها سمى الرسول ﷺ ذلك العام ، عام الحزن ، الحزن على أعز نصيرين عمه وزوجته ومن مآثر أبي طالب الحميدة ، ودليل مساندته للرسول ما أنشده من شعر :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا

تصنع فى بنى هاشم وبنى المطلب ، دعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوا إلى ما دعاهم إليه من دفع عن رسول الله ﷺ إلا ما كان من أبى لهب ، وهو يحرِّض بنى هاشم ، وإنما كانت بنو المطلب تدعى لهاشم إذا دعوا بالحلف الذى كان بين بنى هاشم وبين بنى المطلب دون بنى عبد مناف ، فقال :

حَتَّى مَتَى نَحنُ عَلَى فِتْنَةٍ ... يَا هَاشِمُ وَالقومُ فى مَحفَلِ
يَدْعونَ بِالخيلِ عَلَى رِقْبَةٍ ... منَّا لَدى الخوف وَفى مَعْزِل
كَالرَّجْبَةِ السَّوْداء يَعْلو بِهَا ... سُرْعَانُها فى سَبْسَبٍ مُجْفِل
عَلَيهم النزك عَلى رَعْله ... مِثل القَطَا الشَّارب المُهْمَلِ
يَا قَومِ ذُودُوا عَن جماهيركُم ... بِكُلِّ مفضالٍ عَلَى مَسْبِل
وَقد شَهِدتُ الحَربَ فِى فِتْيةٍ ... عِنْدَ الوَغَا فِى عَثير القَسْطل

فلما اجتمعت بنو هاشم وبنو المطلب معه ورأى أن قد امتنع بهم وأن قريشًا لن يعادوه معهم قال أبوطالب ، وبادى قومه بالعداوة ، ونصب لهم الحرب فقال :

مَنَعْنَا الرَّسولَ رَسولَ المَليكِ ... ببيض تَلألأ كَلَمْعِ البُروقْ
بِضَرْبٍ بِزَبْرٍ دُونَ التهاب ... حَذارِ البَوادرِ كالخنفقيق
أَذُبُّ وأَحْمِى رَسول المليك ... حِمَاية حَامٍ عَلَيه شَفِيقْ
وَما إن أدبَّ لأَعْدائه ... دَبِيب البكار حَذَارِ الفَنِيقْ
وَلكنْ أزأر لَهم سَامِيًا ... كَما زَأَر لَيثٌ بغيلٍ مَضيقْ

* شعر أبى طالب فى مدح قومه لنصرته :

فلما رأى أبو طالب من قومه ما سرَّه من جدهم معه ، وحدبهم عليه جعل يمدحهم ويذكر قديمهم ، ويذكر فضل رسول الله ﷺ فيهم ، ومكانه منهم ليشتد لهم رأيهم فيه ، وليحدبوا معه على أمرهم ، فقال أبو طالب :

إِذا اجتمعتْ يَومًا قريشٌ لِفَخْرٍ ... فَعبد مَنَاف سرُّها وَصَمِيمُها
وإن حُصِّلَتْ أشرافُ عَبْدِ مَنَافها ... فَفِى هَاشِمٍ أَشْرافُها وَقديمُها
وَإِنْ فَخرت يَومًا فَإِن مُحَمدًا ... هُو المصْطَفى مِنْ سِرِّها وكَرِيمَها
تَداعَتْ قُريشٌ غثُّها وَسَمِينُهَا ... عَلينا فَلم تَظْفَر وَطاشتْ حلُومُها
وَكُنَّا قَدِيمًا لاَ نُقرُّ ظَلامَة ... إذا ما ثنوا صُعر الخُدود نُقيمُها
وَنَحْمى حِمَاها كُلَّ يَومِ كَرِيهةٍ ... وَنَضْرِبُ عَنْ أحْجَارها مَن يَرُومُها

* أبو طالب يسخر من أبى لهب :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم أقبل أبو طالب على أبي لهب حين ظافر عليه قومه ، ونصب لعداوة رسول الله ﷺ مع من نصب له ، وكان أبو لهب للخُزَاعية ، وكان أبو طالب وعبد الله أبو رسول الله والزبير لفاطمة بنت عمرو بن عَائذ بن عُمْران بن مَخْزوم ، فغمزه ابوطالب بأُمٍّ له يقال لها اسْمَاحِيج ، وَأَغْلظ له فى القول :

مُسْتَعرِض الأقْوامِ يُخبِرهُم ... عُذْرى وَما إنْ جِئْتُ مِنْ عُذْرِ
فَاجْعَل فُلاَنَةَ وَابْنَها عِوضًــــا ... لِكَرائِم الأَكْفَاء والصِّهْرِ
وَاسْمَع نَوادرَ مِنْ حَدِيث صَادق ... تَهْوِين مِثْلَ جَنَادِل الصَّخْرِ
إِنَّا بَنُو أُمِّ الزُبَيْرِ وَفَحلها ... حَملتْ بِنا لِلطِّيب والطُّهْرِ
فَحرَّمت مِنَّا صَاحبًا وَمُوازرًا ... وَأَخًا عَلَى السَّراء وَالضُّرِّ

* أبو طالب يعلن لقريش تمسكه بنصر ابن أخيه :

قال : فلما مضى أبو طالب على أمره من خلاف قومه فيما أراد رسول الله ﷺ ، واجتمعت قريش على عُدوانه وخلافه ، قال أبو طالب فى ذلك :

مَا إِن جَنَيْنَا مِنْ قُرَيــشٍ عَظِيمَة ... سَوى أَن مَنعْنَا خَيْر مَن وَطِئ التُّرْبَا
أَخَاثِقَــة لِلنَّائبــات مَوْرًا (١) ... كَرِيمًا ثَناه لا لَئِيمــًا وَلا ذَرِبَا
فَيا أَخَوَيْنا عَبْدَ شَمْــس وَنَوْفَلا ... فَإِياكُما أن تُسْــعِرا بينَنا حَرْبَا

(١) أى سريع الإجابة .

وَإن تُصبحُوا من بَعْد وِدٍّ وإلْفَةٍ أَحابيشَ فِيها كُلكم يَشْتكى النَّكبَا
أَلم تَعْلموا مَا كان فِي حَرَبِ دَاحِسٍ وَرَهْط أبى يَكْسوم إذ ملأوا الشِّعْبَا
فَوالله لَوْلاَ اللهُ لا شَـــىء غَيره لأَصْبَحتُم لاَ تملكـــون لنا سِربًا

* الوليد بن المغيرة يكيد للرسول :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدَّثنى محمد بن أبى محمد عن سعيد بن جُبير ، أو عكرمة عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر الموســم ، فقال : يا معشر [١] إنه قد حضر الموسم [٢] ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم وقد ســمعوا بأمر صاحبكم هذا [٣] ، فاجمعوا فيه رأيا واحدًا ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضًا ، ويرد قول بعضكم بعضا ، فقالوا : فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيًا نقوم به ، فقال : بل أنتم : قولوا أسمع ، فقالوا : نقول : كاهن ، فقال : ما هو بكاهن ، لقد رأيت الكهان فما هو بزمزمة الكاهن وســجعه فقال : نقول مجنون ، فقال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو تخنقه ، ولا تخالجه ، ولا وسوسته ، فقالوا : نقول : شاعر ، فقال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر برجزه [٤] وقريضه ، ومقبوضه ، ومبسوطه ، فما هو بالشعر ، قالوا : فنقول : ساحر ، قال : ما هو بساحر ، قد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثه ولاعقده [٥] ، قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة ، إن أصله لغدق ، وإن فرعه لجنًا ، فما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلا عرف أنه باطل ، وإن أقــرب القول لأن تقولوا : ساحر : فقولوا ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه ، وبين المرء وبين أخيه ، وبين المرء

(١) فى سيرة ابن هشام « يا معشر قريش » ويبدوا أنها سقطت هنا لأن الكلام لا يستقيم بدونها .

(٢) أى موسم الحج ، وكان الناس فى الجاهلية يأتون الكعبة ويطوفون بالأصنام ويذبحون لها تقربًا .

(٣) يقصد رسول الله ﷺ .

(٤) فى ابن هشام « لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه » ، انظر سيرة ابن هشام ط . مكتبة الكليات الأزهرية ١ / ٢٤٣ تحقيق طه عبد الرءوف سعد .

(٥) العقد والنفث : هو أن يعقد الساحر خيطا وينفث فيه بفمه .

وزوجه ، وبين المرء وعشيرته ، فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون يسألون الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه ، وذكروا لهم أمره ·

• القرآن يرُد على الوليد :

فأنزل الله تعالى فى الوليد بن المغيرة ، وفى ذلك من قوله : ﴿ **ذرنى ومن خلقت وحيدًا** ﴾ إلى قوله: ﴿ **سأصليه سقر** ﴾ [(١)] ، وأنزل الله عز وجل فى النفر الذين كانوا معه يصنِّفون[(٢)] له القول فى رسول الله ﷺ وفيما جاء به من عند الله تعالى : ﴿ **الذين جعلوا القرآن عضين** ﴾ أى أصنافًا : ﴿ **فوربك لنسئلنَّهم أجمعين** ﴾ [(٣)] أولئك النفر الذين يقَولون ذلك لرسول الله ﷺ لمن لقوا من الناس ، وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ ، وانتشر ذكره فى بلاد العرب كلها [(٤)] ·

نا يونس عن أبى معشر عن محمد بن قيس فى قوله : ﴿ **وقالوا قلوبنا فى أكنة** ﴾ [(٥)] قال : قالت قريش لرسول الله ﷺ : إن ما تقول حق ، فوالله إن قلوبنا لفى أكنة منه ما نعقله ، وفى آذاننا وقر فما نسمعه ، ومن بيننا وبينك حجاب فما ندرى ما تقول ·

* قريش تعرض عمارة بن الوليد على أبى طالب بدل محمد :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم إن قريشًا حين عرفت أن أبا طالب أبى خُذْلان رسول الله ﷺ ، وإسلامه ، وإجماعه لفراقهم فى ذلك ، وعدوانهم ، مشوا إليه ومعهم عمارة بن الوليد بن المغيرة ، فقالوا له فيما بلغنا : يا أبا طالب قد جئناك بفتى قريش عُمارة بن الوليد جمالا ، وشبابًا ، ونهادة ، فهو لك نصره وعقله ، فاتخذه ولدًا تنازع فيه ، وخل بيننا وبين ابن أخيك هذا الذى فارق دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومه ، وسفَّه أحلامهم ، فإنما رجل كرجل لنقتله ، فإن ذلك أجمع للعشيرة ، وأفضل فى عواقب الأمور مغَبَّة ، فقال

---

(١) سورة المدثر :الآيات ١١ - ٢٦ ·　　(٢) أى يؤلفون ويصنعون ·

(٣) سورة الحجر : الآيات ٩١ - ٩٢ ·

(٤) وذكر بالمدينة وكان من أكثر أحياء العرب علما بهذا الموضوع هم الأوس والخزرج بالإضافة إلى ما سمعوه من أحبار اليهود قبل ذلك ، وكان هذا فى صالح الرسول ﷺ لأن أثره ظهر فيما بعد ، وذلك عندما فكر كثير منهم فى هذا الكلام وفى صاحبه فتوصلوا للحق وعلموا أنه نبى فجاء منهم وفدان بايعا الرسول ﷺ بيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية ، وكانوا نواة لنشأة دولة الإسلام بالمدينة ومبررًا لهجرة الرسول ﷺ ·

(٥) سورة فصلت : الآية ٥ ·

لهم أبو طالب : والله ما أنصفتمونى ، تعطونى ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيكم ابن أخى تقتلونه ، هذا والله لا يكون أبدًا ، أفلا تعلمون أن الناقة إذ فقدت ولدها لم تحن إلى غيره ، فقال له المُطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف : لقد أنصفك قومك يا أبا طالب ، وما أراك تريد أن تقبل ذلك منهـــم ، فقال أبو طالب للمطعم بن عدى : والله ما أنصفتمـــونى ولكنك قد أجمعت على خـــذلانى ومظاهرة القوم علىّ ، فاصنع ما بدا لك ، أو كما قال أبو طالب ، فحقب [١] ٠ الأمر عند ذلك ، وجمعت للحرب [٢] ، وتنادى القوم ، وبادى بعضهم بعضا، فقال أبو طالب عند ذلك - وإنه يعرض بالمطعم - ويعم من خذله من بنى عبد مناف، ومن عاداه من قبائل قريش ، ويذكر ما سألوه فيما طلبوا منه وما تباعد من أمرهم ٠

*** شعر أبى طالب فى المطعم ومن خذله :**

أَلا لَيْتَ حَظِّى مِنْ حِياطَتِكُم بَكْرُ [٣] … يَرِشُّ عَلَى السَّاقينَ مِنْ بَوْلِهِ قَطْرُ

مِنَ الخُورِ حَبْحَابٌ كَثِيرٌ رُغَاؤُهُ … إذا مَا علا الفَيْفَاءَ تَحْسَبُهُ وَبَرْ [٤]

أَرى أَخَوَيْنَا مِنْ أبينـــا وأمِّنَا … إذَا سُئِلا قَالا إلى غيرنا الأَمْرُ

بَلْ لَهمَا أمر ولكن تَرجمـــا … كَما ترجمت [٥] مِنْ رَأس ذى الفَلَقِ الصَّخْرُ

هُما أَغمزَا للقوم فى أَخوَيهمَا … وَقَدْ أَصبَحَا منهم أَكُفُّهمَا صِفْرُ

أَخُصُّ خُصُوصًا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوفَلاً … هُما نَبذانا مثل مـــا نبذ الجمرُ

فَأَقسمت لاَ ينفك منهم مُجاور … يُجادرُنا ما دامَ من نَسْلنا شَفْرُ

هُما أَشْرَكا فى المجْد مَنْ لاَ أخَا لهُ … مِنَ الناسِ إلا أَن يُرش له ذِكْرُ

وَلِيدًا أَبوهُ كَان عبدًا لجدِّنا … إلى علْجَة زَرقاء جَاش بها البَحْرُ

وَتَيمٌ وَمَخزُومٌ وَزهْرةُ مِنْهُمُ … وَكانوا لنا مَولَى إذا ابتغى النَّصْرُ

وَقد سفهَتْ أَحلامُهُمْ وَعُقُولُهم … وَكانوا كَجَفْرٍ شَرُّهَا ضَغَطَت [٦] جَفْرُ

---

(١) أى اشتد ٠ (٢) فى سيرة ابن هشام « وحميت الحرب » ٠

(٣) يريد أن يقول هنا : إن بكرًا من الإبل أنفع لى منكم، وقد جاء هذا البيت فى سيرة ابن هشام كما يلى : ألا قل لعمرو والوليد ومطعم … ألا ليت حظى من حياطتكم بكر

(٤) الوبر: دويبة صغيرة تشبه الهرة ٠ (٥) فى ابن هشام:« جرجمت » : أى انحدرت ٠

(٦) فى ابن هشام « صنعت » ٠

بَابُ مَا نَالَ أَصْحَابَ رَسولِ اللهِ مِنَ البَلاَءِ والجَهْدِ

* رجوع الوفد لأبى طالب مرة ثانية :

ثم إن قريشًا مشوا إلى أبى طالب تارة أخرى فكلَّمـوه ، وقالوا : ما نحن يا أبا طالب ، وإن كنت فينا ذا منزلة بسنِّك وشرفك وموضعك ، بتاركى ابن أخيك على هذا حتى نهلكه أو يكف عنا ما قد أظهر بيننا من شتم آلهتنا ، وسبِّ آبائنا ، وعيب ديننا ، فإن شئت فاجمع لحربنا ، وإن شئت فدع ، فقد أعذرنا إليك ، وطلبنا التخلص من حربك وعداوتك فكل ما نظن أن ذلك مخلص ، فانظر فى أمرك ، ثم اقض إلينا قضاك ·

* ما دار بين الرسول ﷺ وعمه أبى طالب :

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : حدثنى يعقوب بن عُتْبة بن الْمُغيرة بن الأَخْنس أنه حدث أن قريشًا حين قالت لأبى طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا ابن أخى إن قومك قد جاءونى فقالوا : كذا وكذا ، للذى قالوا له، وآذونى قبل ، فأبق علىَّ وعلى نفسك ، ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت ، واكفف عن قومك ما يكرهون من قولك هذا الذى فرق بيننا وبينهم ، فظن رسول الله ﷺ أنه قدْ بَدَا لعمِّه فيه بَداء [(١)] ، وأنه خَاذله ومسلِّمه ؛ وضعف عن نصرته والقيام معه ، فقال رسول الله ﷺ : يا عم لو وضعت الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى [(٢)] ما تركت الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فى طلبه ، ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى ، فلما ولى قال له - حين رأى ما بلغ الأمر برسول الله ﷺ - : أقبل يا ابن أخى ، فأقبل عليه ، فقال : امض على أمرك وافعل ما أحببت ، فوالله لا نسلِّمك بشىء أبدًا ·

---

(١) أى ظهر له رأى ، فسمى الرأى بداء ، لأنه شىء يبدو بعدما خفى ، والمصدر البدء، والبدو ، والاسم : البداء ·

(٢) خص الشمس باليمين لأنها الآية المبصرة ، وخص القمر بالشمال لأنها الآية الممحوة·

نا يونس عن طلحة بن يحيى بن طلحة بن عُبيد الله عن موسى بن طلحة قال : أخبرني عقيل بن أبي طَالب قال : جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا : إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا [(١)] ، فانهه عنا ، فقال يا عقيل انطلق فأتني بمحمد ﷺ فانطلقت إليه ، فاستخرجته من خِيس ، يقول بيت صغير ، فجاء به في الظهيرة في شدة الحر ، فجعل يطلب الفيء يمشي فيه من شدة الحر الرحَض [(٢)] ، فلما أتاهم قال أبو طالب : إن بني عمك هؤلاء قد زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم ، فانته عن أذاهم ، فحلّق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء فقال أترون هذه الشمس ؟ قالوا : نعم ، قال : فما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تستشعلوا منها شعلة فقال أبو طالب : والله ما كذبنا ابن أخي فارجعوا .

* شعر أبي طالب في مساندة ابن أخيه :

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق: ثم قال أبو طالب من شعر قاله حين أجمع لذلك من نُصرة رسول الله ﷺ، والدفاع عنه على ما كان من عداوة قومه وفراقهم له :

والله لَنْ يَصلوا إليه [(٣)] بجَمعهمْ ... حتّى أُوسَّدَ في التُّراب دَفينَا
امضي لأمرِكَ مَا عليك غَضاضةٌ ... وَابْشِر وَقرَّ بذاك منْكَ عُيونَا
وَدعوتني وَعلمْتُ أنك نَاصحٌ ... فَلقد صَدَقْتَ وكُنْتَ قدْمًا أَمينا
وَعَرضتَ دينًا قَدْ عرفتُ بأنهُ ... منْ خَير أَدْيان البر [(٤)] دينَا
لولا الملامة أو حَذارِي سُبَّةً ... لَوجدتني سَمْحًا لذاك مُبينا

فلما قالت قريش : لقد سفَّه أحلامنا ، وعَاب ديننا ، وسب آباءنا ، فوالله لا نقر بهذا أبدًا، وقام أبو طالب دون رسول الله ﷺ ، وكان أحب الناس إليه ، فشمَّر في شأنه ، ونادى قومه ، قال قصيدة تعوذ فيها منهم ، وبادأهم في آخرها ، فقال :

لما رَأيتُ القَوم لا وُدَّ بَينهُـــمْ ... وَقد قَطَعُوا كل العُرَى والوسائل
وَقَدْ صَارحُونا بالعَداوَة والأَذَى ... وَقَدْ طَاوَعُوا أَمْرَ العدُوِّ المُزايــلِ

(١) أى الكعبة التى يطوفون حول الأصنام بها .

(٢) الحر الرحض : أى الحر الذى يكثر العرق بسببه .

(٣) فى بعض المصادر « إليك » .

(٤) جاء فى إحدى المخطوطات : « البرية » وهى الصواب وبدونها يختل وزن البيت عَرُوضيًا ، وكذلك فى تاريخ الإسلام للذهبى « البرية » انظر تاريخ الإسلام قدم له وعلّق عليه بدوى طه بدوى ط دار الغد العربى .

وَقَدْ حَالفوا قَومًا عَلينا أظنة يعضون غَيْظًا خَلْفنَا بالأنامل
صَبرتُ لَهم نَفْسى بصَفراء[1] سَمْحة وأبيضَ عَضْب من سُيُوف المُقاول[2]
وأحضرتُ عنْدَ البيتَ رَهْطى وأسْرتى[3] وأمْسكتُ من أثوابه بالوَصائل[4]
عُكُوفًا مَعًا مُسْتَقبلين وتَاره[5] لَدى حَيث يقضى حلفه كل نافل[6]
وَحيث يَنيخُ الأشعريونَ ركابهمْ بمفضى السِّيول بين سَاف[7] ونائل[8]

* مقاطعة قريش بنى هاشم وبنى المطلب :

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال : فلما مضى رسول الله ﷺ على الذى بعث به ، وقامت بنو هاشم ، وبنو المطلب دونه ، وأبوا أن يسلموه ، وهم من خلافه على مثل ما قومهم عليه ، إلا أنهم أنفوا أن يستذلوا ، ويسلموا آخاهم لمن فارقه من قومه ، فلما فعلت ذلك بنو هاشم ، وبنو المطلب ، وعرفت قريش أنه لا سبيل إلى محمد ﷺ معهم ، اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بنى هاشم وبنى المطلب ألا يناكحوهم ولا ينكحوا إليهم ، ولا يبايعونهم ولا يبتاعون منهم ، فكتبوا صحيفة فى ذلك ، وكتب فى الصحيفة عكرمة بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وعلَّقوها بالكعبة ، ثم عدوا على من أسلم فأوثقوهم ، وآذوهم ، واشتد البلاء عليهم ، وعظمت الفتنة فيهم وزلزلوا زلزالاً شديدًا ، فخرج أبو لهب عدو الله يظاهر عليهم قريش ، وقال : قد نصرت اللات والعزى يا معشر قريش ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **تبت يدا أبى لهب** ﴾ إلى آخرها .

* شعر صفية عمة رسول الله ﷺ - لقريش :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : وقالت صفية بنت عبد المطلب :

---

(١) فى سيرة ابن هشام : « بسمراء » . (٢) أراد بالمقاول : آباءه ، شبههم بالملوك .
(٣) فى سيرة ابن هشام « وإخوتى » .
(٤) الوصائل : ثياب مخططة حمراء ، كان يكسى بها البيت الحرام .
(٥) هذا الشطر جاء فى سيرة ابن هشام هكذا « قيامًا مستقبلين رتاجه » .
(٦) النافل : المتبرئ .
(٧) عند ابن هشام : إساف ، ومن المعروف أن إساف ونائلة كانا رجلاً وامرأة من قبيلة جرهم ، فعلا الفاحشة فى الكعبة فمسخهما الله حجرين ، ومع مرور الأيام قدسهما المشركون وعبدوهم وكانوا يؤدون لهما القرابين .
(٨) هو ترخيم فى غير النداء لضرورة الوزن فى البيت والأصل نائلة فحذف الحرف الأخير

أَلا مَنْ مُبلغٌ عَنِّى قُريشًا ... فَفِيم الأَمْرُ فِـــينَا والإمارُ
لنَا الأَمْرُ المقدَّم قَدْ عَلمتُم ... ولَم تُوقَد لنـــا بالغَدْرِ نَارُ
مَجَازيلُ العَطـــا إذَا وَهَبْنَا ... وَأيْسَارٌ إذا ابتغـــى اليَسارُ
وكُلَّ مَناقب الخـــيرات فينا ... وبعضُ الأَمْرِ مَنْقَصَةٌ وعَارُ
فَلا والعَاديات غَـــداةَ جَمْعٍ ... بأيديهَا إذا سَطَـــع الغُبَارُ
لَنَصْطَبِرَنَّ لأمـــر الله حتَّى ... يُبيِّنَ ربـــنا أَينَ القَرارُ

● شعر أبى طالب لقريش :

وقال أبو طالب :

أَلاَ أَبْلغَا عنِّى عَـــلى ذَاتِ نَأْيها ... لُؤيًّا وَخُصَّا مِنْ لُؤَىٍّ بَنِى كَعْبِ
أَلم تعلموا أنا وَجَدْنَا محـــمدًا ... نَبيا كَمُوسى خَطَّ فى أول الكُتْبِ
وأَنْ عَليـــه فى العباد مَحبةً ... ولا خَيرَ فيمَنْ خَصَّه اللهُ بالحُبِّ
وأن الذى أَضْفتُم فى كتابكم ... لكم كَائن نَحْسًا كَراعية السقبِ
أَفيقوا أَفيقوا قبل أن تُحفر الثَّرى ... ويَصبح من لم يُجْنِ ذَنْبًا كَذِى الذَّنْبِ
ولا تتبعُوا أَمْرَ الغواة وتَقْطَعوا ... أواصِرنا بَعْدَ المودة والقُـــربِ
وتستجْلبوا حَرْبًا عـــوانا وربما ... أمر على من ذَاقَه حَلَب الحربِ
ولسنا ورَبِّ البيت نُسْلِم أَحمدًا ... عَلَى الحالِ مِن عض الزَّمان ولاَ كَربِ
أَليس أَبونا هَاشمٌ شـــد أزْرَهُ ... وأَوْصَى بنيه بالطِّعان وبالضربِ
ولَسْنا نَمَلُ الحربَ حـــتى تَمُلَّنا ... ولا نتَشكَّى مَا ينوبُ مِنَ النكبِ
ولكننا أَهْلُ الحِفاظِ ذوو النهى ... إذا طَار أَرْوَاحُ الكُمَاة مِن الرُّعْبِ

وقال أبو طالب :

أَلا أَبْلغَا عنِّى لُؤَيًّا رِسَـــالة ... بحقٍّ وَمَا تُغْنِى رِسَـــالة مُرْسِلِ
بَنِى عَمِّنَا الأدنين تَيما نَخصـــهم ... وأَخوتنا من عَبْدِ شَمْـــس ونَوفَلِ
أَظاهرتُم قَوْمًا عَلينـــا ولاية ... وأمرٌ غَوى مـــنْ غُواةٍ وجُهلِ
يَقولونَ إنْ قَد قَتلنـــا مُحَمدًا ... أَقَرَّتْ نَواصِى هَاشـــم بِالتذللِ
كَذَبْتُم ورَبَّ الهَدْىِ تُدْمى نُحورهَا ... بمكة والرُّكْنِ العتيقَ المقبـــلِ
تَنَاوَلونه أو تُعْطلونَ لِقَتْله صَوَارِم ... تَفْرى كُلَّ عَظْمٍ ومَفْصَـــلِ

وَتَدعو بَوِيْلٍ أنتم إنْ ظَلمتُم مُقَابِله فى يوم أغر محجل
فَمهلا وَلَمَّا تَنْجَح الحرب بَكْرها وَيَأْتى تماما أو بآخر مَعْجَلِ
وَإنا مَتَى مَا نَمْرِهَا بسيُوفنَا تَجَلْجَل وتَعْرك مَنْ نَشا بِكَلْكَلِ
وَيعلو رَبيع الأَبْطحَين مُحمد عَلَى رَبْوة مِنْ رَأس عَنْقاء عَيْكَلِ (١)
وَيأوى إليها هَاشمٌ إنَّ هَاشماً عَرانين كَعْبَ آخر بعد أول
فَإن كَنتم تَرجونَ قَتل مُحمد فَروموا بما جَمعتم نَقل يَذْبل (٢)
فَإنا سَنَمنَعه بكل طُمرةً وذى مَيْعة نهد المَرَاكل هَيكل
وكَل رَدينى طُمى كُعُوبَةً وعضب كَما مَاضَ الغَمامة مَفْصَلِ
بأيمان شُم مِنْ ذؤابَة هَاشمٍ مُغَاوير بالأبطال فى كل مَحْفَلِ

* أبُو طالبَ يدعو رب البيتً على قاطع المحارم :

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : فلما سمعت قريش بذلك ، ورأوا منه الجد وأيسوا منه ، فأبدوا لبنى عبد المطلب الجفاء ، فانطلق بهم أبو طالب فقاموا بين أستار الكعبة ، فدعوا الله على ظلم قومهم لهم ، وفى قطيعتهم أرحامهم واجتماعهم على محاربتهم ، وبتأولهم سفك دمائهم ، فقال أبو طالب : اللهم إن أبى قومنا إلا النصر علينا ، فعجِّل نصرنا ، وحل بينهم وبين قتل ابن أخى ثم أقبل إلى جمع قريش وهم ينظرون إليه وإلى أصحابه ، فقال أبو طالب : ندعو برب هذا البيت على القاطع المنتهك للمحارم ، والله لتنتهنَّ عن الذى تريدون ، أو لينزلن الله بكم فى قطيعتنا بعض الذى تكرهون ، فأجابوه إنكم يا بنى عبد المطلب لا صلح بيننا وبينكم ولا رحم إلا على قتل هذا الصبى السفيه .

* قريش تحاصر بنى هاشم وبنى المطلب فى شعبهم :

ثم عمد أبو طالب فأدخل الشعب ابن أخيه وبنى أبيه ومن اتبعهم من بين مؤمن دخل لنصرة الله ، ونصرة رسول الله ﷺ ، ومن بين مشرك يحمى ، فدخلوا شعبهم ، وهو شعب فى ناحية من مكة ، فلما قدم عمرو - عمرو بن العاصى - وعبد الله بن أبى ربيعة إلى قريش وأخبروهم بالذى قال النجاشى لمحمد ﷺ

---

(١) العيكل : هو الجبل العظيم من الرمال .

(٢) يقول لهم هنا لا تستطيعون قتل محمد كما لا تستطيعون نقل جبل يَذبل بنجد ، وهذا منتهى التحدى لهم ومساندته ومؤازرته لابن أخيه .

وأصحابه ، اشتد وجدهم ، وآذوا النبى وأصحابه أذى شديدًا وضربوهم فى كل طريق وحصروهم فى شعبهم وقطعوا عنهم المادة من الأسواق ، فلم يدعوا أحدًا من الناس يُدخل عليهم طعامًا ولا شيئًا مما يرفق بـهم ، وكانوا يخرجون من الشعب إلى الموسم ، وكانت قريش تبادرهم إلى الأسواق فيشترونها ويغلونها عليهم ، ونادى منادى الوليد بن المغيرة فى قريش : أيما رجل وجدتموه عنده طعام يشتريه فزيدوا عليه .

* الوليد بن المغيرة يؤذى أهل الرسول ﷺ :

نا يونس عن عيسى بن عبد الله التيمى عن الربيع بن أنس قال : نزلت فى الوليد بن المغيرة : ﴿ **عُتُلٍّ بعد ذلك زنيم** ﴾ (١) قال : فاحش مع ذلك لئيم .

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق فى حديثه عن الوليد : فمن رأيتموه عند طعام يشتريه فزيدوا عليه (٢) ، وحولوا بينهم وبينه ومن لم يكن عنده نقد فليشتر وعلىَّ النقد ، ففعلوا ذلك ثلاث سنين حتى بلغ القوم الجهد الشديد ، وحتى سمعوا أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب ، وكان المشركون يكرهون ما فيه بنو هاشم من البلاء ، حتى كره عامة قريش ما أصاب بنى هاشم ، وأظهروا لكراهيتهم لصحيفتهم القاطعة الظالمة التى تعاهدوا فيها على محمد ﷺ ورَهطه ، وحتى أراد رجال منهم أن يبرءوا منها ، وكان أبو طالب يخاف أن يغتالوا رسول الله ﷺ ليلا أو سرًّا ، فكان رسول الله ﷺ إذ أخذ مضجعه أو رقد بعثه أبو طالب عن فراشه وجعله بينه وبين بنيه خشية أن يقتلوه ؛ وتصبح قريش فيسمعوا من الليل أصوات صبيان بنى هاشم الذين فى الشعب يتضاغون من الجوع ، فإذا أصبحوا جلسوا عند الكعبة فيسأل بعضهم بعضًا ، فيقول الرجل لصاحبه : كيف باتَ أهْلك البارحة ؟ فيقول : بخير ، فيقول : لكن إخوانكم (٣) هؤلاء الذين فى الشِّعب بات صبيانهم يتضاغون (٤) من الجوع حتى أصبحوا ، فمنهم من يعجبه ما يلقى محمد ﷺ ورهطه ، ومنهم من يكره ذلك ، فقال أبو طالب ، وهو يذكر ما طلبوا من محمد ﷺ ، وما حشدوهم فى كل موسم يمنعونهم أن يبتاعوا بعض ما يصلحهم ، وذكر فى الشعر :

---

(١) سورة القلم : الآية ١٣ . (٢) أى أغلوا عليه فى السعر .

(٣) يقصد بنى هاشم وبنى المطلب . (٤) أى يتألمون ويصرخون .

ألا مَنْ لَهَم آخرِ الليْلِ مُعْتم طواني وأُخْرى النجم لم يُتقَحَّم
طَواني وقـــد نَامتْ عُيونٌ كَثيرةٌ وَسائرُ أُخرى سَاهر لَم يُنوم
لأحلامِ أقوامٍ أرادوا محمـــداً بسوءٍ ومن لا يتَّقى الظلم يُظلم
سَعوا سَفها واقتادهم سُوء رأ يهم على قائل من رأيهم غَير محكمِ
رَجاء أُمور لم ينَالوا نظَامهـــا وإنْ حَشدوا فى كل نَفر وموسمِ
يَرجون أنْ نَسْخَا بقَتل محمد ولَم تختضب سمْرَ العوالى من الدمِ
يَرجون منَّا خطـــة دون نَيلها ضراب وَطَعن بالوشيجِ المقوم
كَذبتُم وَبيتُ الله لاَ تقتلونَهُ جَماجم تُلْقى بالحطِيم وزَمزمِ
وتُقْطَع أَرحامٌ وتَنْسَى حليلةٌ حَليلها ونغشا محرماً بعد محرمِ
وَينهض قَوم فى الدروعِ إليكم يَذُبُّونَ عن أحَسابهم كل مجرمِ

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق : فأقامت قريش على ذلك من أمرهم فى بني هاشم وبنى المطلب سنتين أو ثلاثاً ، حتى جهد [1] القوم جهدًا شديدًا لا يصل إليهم شيء إلا سرًّا ، أو مستخفًا ممن أراد صلتهم من قريش ، فبلغنى أن حكيم بن حزام خرج يومًا ومعه إنسان يحمل طعامًا إلى عمته خديجة ابنة خويلد ، وهى تحت رسول الله ﷺ ، ومعه فى الشعب ، إذ لقيه أبو جهل فقال : تذهب بالطعام إلى بنى هاشم والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضـحك عند قريش ، فـقال له أبو البخترى بن هاشم بن الحارث بن أسـد : تمنعه أن يرسل إلى عمته بطعام كان لها عنده ، فأبى أبو جهل أن يدعه ، فقام إليه أبو البَخْترى بساق بعير فشجه ووطئه وطئًا شديدًا ، وحمزة بن عبد المطلب قريبًا يرى ذلك وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه فيشمتوا بهم ، فقال أبو البخترى بن هاشم فى ذلك :

ذُقْ يَا أَبا جَهْلٍ لَقيتَ غَما كَذلك الجَهْلُ يكـونُ ذَمًّا
سَوف تَرى عُودى إن ألما كَذلك اللوم يعَودُ ذَمًّـــا
تَعلَّم أنَّا نفْرج المَهـــما ونمنع الأبْلَج أنْ يَطمـــا

(١) أى تعبوا تعبًا شديدًا

* **ما فعله الله بالصحيفة :**

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم إن الله عز وجل برحمته أرسل على صحيفة قريش التى كتبوا فيها تظاهرهم على بنى هاشم ، الأرَضَة [١] ، فلم تدع فيها اسم هو لله عز وجل إلا أكلته ، وبقى فيها الظلم والقطيعة والبهتان [كذا] ، فأخبر الله عز وجل بذلك رسول الله ﷺ ، فأخبر أبا طالب ، فقال أبو طالب : يا ابن أخي من حدَّثك هذا ، وليس يدخل إلينا أحد ، ولا تخرج أنت إلى أحد ، ولست فى نفسى من أهل الكذب ، فقال له رسول الله ﷺ أخبرنى ربى هـــذا ، فقال له عمه : إن ربك لحق ، وأنا أشهد أنك صادق ، فجمع أبو طالب رهطه ولم يخبرهم بما أخبره به رسول الله ﷺ كراهية أن يفشوا ذلك الخبر فيبلغ المشركين ، فيحتالوا للصحيفة الخبث والمكر ، فانطلق أبو طالب برهطه حتى دخلوا المسجد ، والمشركون من قريش فى ظل الكعبة ، فلما أبصروه تباشروا به ، وظنوا أن الحصر والبلاء حملهم على أن يدفعوا إليهم رسول الله ﷺ فيقتلوه ، فلما انتهى إليهم أبو طالب ورهطه رحبوا بهم وقالوا : قد آن لك أن تطيب نفسك عن قتل رجل فى قتله صلاحكم وجماعتكم ، وفى حياته فرقتكم وفسادكم ! فقال أبو طالب : قد جئتكم فى أمر لعله يكون فيه صلاح وجماعة فاقبلوا ذلك منا ، هلموا صحيفتكم التى فيها تظاهركم علينا ، فجاءوا بها ، ولا يشكون إلا أنهم سيدفعون رسول الله ﷺ إليهم إذا نشروها ، فلما جاءوا بصحيفتهم قال أبو طالب : صحيفتكم بينى وبينكم ، وإن ابن أخى قد خبرنى - ولم يكذبنى - أن الله عز وجل قد بعث على صحيفتكم الأرضة ، فلم تدع لله فيها اسمًا إلا أكلته وبقى فيها الظلم والقطيعة والبهتان ، فإن كان كاذبا فلكم على أن أدفعه إليكم تقتلونه ، وإن كان صادقًا فهل ذلك ناهيكم عن تظاهركم علينا ؟ فأخذ عليهم المواثيق ، وأخذوا عليه ، فلما نشروها فإذا هى كما قال رسول الله ﷺ ، وكانوا هم بالغدر أولى منهم ، واستبشر أبو طالب وأصحابه ، وقالوا : أينا أولى بالسحر والقطيعة والبهتان ؟ فقال المُطْعم بن عدى بن نوفـــل بن عبد مناف ، وهشام بن عمرو ، أخو عامر بن لؤى بن حارثة ، فقالوا : نحن براء من هذه الصحيفة القاطعة العادية الظالمة ، ولن أغالى أحدًا فى فساد أنفسنا وأشرافنا

---

(١) الأرضة : دويبة بيضاء تشبه النملة ، تظهر أيام الربيع ، انظر المعـــجم الوجيز ص ١٣ .

وتتابع على ذلك ناس من أشراف قريش ، فخرج أقوام من شعبهم وقد أصابهم الجهد الشديد ، فقال أبو طالب فى ذلك من أمر محمد ﷺ وما أرادوا من قتله :

تَطاوَل لَيلى بَهَمٍّ وَصَبْ ... وَدَمْعٍ كَسَحٍّ السِّقَاءِ السَّرَبْ

لِلعب قُصَى بَأحْلاَمِهـــا ... وَهل يَرجع الحِلْم بَعد اللَّعَبْ

وَنفى قُصـــى بَنى هاشم ... كَنفى الطُّهاة لِطاف الحطَبْ

وَقولٌ لأَحمـــدَ أَنتَ امرءٌ ... خَلوفُ الحديثِ ضَعيف النَّسَبْ

وإنْ كَان أحـــمد قَد جَاءهم ... بِحقٍّ ولَم يأتهـــم بالكَذِبْ

عَلى أَن إخـــوَتَنَا وَازروا ... بَنِى هَاشـــمٍ وبَنى المطلبْ

هُما أَخوان كَعظم اليَمين ... أَمرَّ عَلينـــا كَعقد الكَرَب

فَيَا لَقُصَى أَلم تخبروا بما ... قد مضَى من شـــؤون العَرَبْ

فلا تمسكـــن بأيديكم ... بعد الأنوف بعجب الذنبْ

عَلام عـــلام تَلافيتُم ... بَأمر مُزاح وِحـــلْم عَزَبْ

وَرمْتُم بِأَحْمـــدَ مَا رُمتم ... عَلى الأصرات وقُرْبِ النَّسبْ

فإنِّى وَما حج من رَاكِبٍ ... لِكَعبـــة مكَّةَ ذات الحُجُبْ

تنالون أحمـــداً وتَصْطلوا ... ظُبات الرِّمَاح وحَدَّ القَضَبْ

وتغتـــرفوا بَيْن أبياتِكم ... صُدُورَ العَوالى وَخَيْلٍ عُصبْ

تراهن من بين صَافى السبيبِ ... قَصير الحـــزام طَويلِ اللببْ

وَجَرْداء كالطير سَمْحوجة ... طَواها المقـــانعُ بَعْدَ الحَلَبْ

عَليها صَنادِيدٌ [١] مِنْ هَاشم ... هم الأَنَجبـــونَ مع المنتجبْ

وقال أبو طالب فى شأن الصحيفة حين رأى قومه لا يتناهون وقد رأوا فيها العلم من العلم ما رأوا :

---

(١) الصناديد : أى الأكابر والزعماء .

أَلا مَنْ لَهمٍّ آخر الليلِ منصب ... وشِعْب العَصَا مِنْ قَوْمك المتشعِّب
وَحَرْبُ أبينا من لُؤَىِّ بن غالب ... مَتى ما تُزاحمها الصحيفة تَحرب
إذا ما مُشير قَام فيها بخُطَّةٍ ... الذؤابة ذنـــباً وليس بمذنب
وَمَا ذَنبُ مَن يَدْعُو إلى البر والتُّقى ... وَلم يَسْتَطِع أَنْ يأرب الشعب يَأرب
وَقد جَرَّبوا فِيما مضى غب أمرهم ... وَما عَالم أمرًا كَمن لم يُجَرِّب
وَقد كان فى أَمْر الصَّحيفة عبرة ... مَتى ما يخـــبر غَائب القوم يُعْجب
مَحى اللهُ منها كُفْرَهم وعقُوقَهم ... ومَا نقَموا من بَاطِل الحق مُعْرب
فَأصبح مَا قالوا من الأمر بَاطلا ... ومن يَخْتلق مَا ليس بالحق يُكْذَب
وَأمسى ابنُ عَبْد الله فينا مُصدَّقاً ... على سَخْط من قَوْمنا غيَر معتب
فلا تَحسبوا يَا مُسْلمينَ مُحمداً ... لـــذى غُرْبة منَّا وَلا مُتَغرب
سَتَمنَعـــــهُ منَّا يَدٌ هاشميَّةٌ ... مَركبهـــا فى الناس خَيْر مَرْكَب

فلما بادأهم أبو طالب بالعداوة (١) ، وباداهم بالحرب ، عدت قريش على من أسلم منهم فأوثقوه وآذوه واشتد البلاء عليهم ، وعظمت الفتنة فيهم ، وزلزلوا زلزالاً شديدًا ، وعدت بنو جمح على عثمان بن مظعون ، وفر أبو ســـلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم إلى أبى طالب ليمنعه ، وكان خاله فجاءت بنو مخزوم ليأخذوه ، فمنعهم ، فقالوا : يا أبا طالب منعتنا ابن أخيك أتمنع منا ابن أخينا ؟! فقال أبو طالب : أمنع ابن أختى مما أمنع ابن أخى ، فقال أبو لهب - ولم يتكلم بكلام خير قط ليس يومئذ - : صدق أبو طالب لا يسلمه إليكم ، فطمع فيه أبو طالب حين سمع منه ما سمع ، ورجا نصره والقيام معه ، فقال شعراً استجلبه بذلك :

---

(١) كان حق هذه الرواية أن تأتى سابقا ، لأن الحديث عن انتهاء الصحيفة ، وفك الحصار من الشعب تم فى الصفحة السابقة ، أما هذا الكلام وما بعده فكان حقه أن يأتى مقدمًا مع غيره من الروايات فى نفس الموضوع وهو خبر الصحيفة وإيذاء المشركين وحصار الرسول وأهله فى الشعب ، وهذا دليل أن ابن إسحاق كان يدمج الروايات ببعضها ، وقد مر فيما سبق شىء من هذا .

وَإنَّ امْرَءًا أبـــو عُتيبة عَمه   لَفى رَوضة من أن يسام المظالما
أَقولُ لَـــه وأينَ منِّى نصيحتى   أَبا مُعتبٍ ثَبِّت سوادك قَائمـــا
وَلا تُقْبلن الدهر مَا عشتَ خطة   تسبٌّ بِها لمـــا هَبطتَ المواسما
وَحارب فإن الحربَ نصفٌ وَلنْ ترى   أَخَا الحربِ يُعْطِى الضيم إلاَّ مُسَالما
وَوَلى سَبيل العَجْزِ غَيركَ منْهم   فَإنكَ لَنْ تَلْحَق على العَجْزِ لاَزِما

نا أحمد : نا يونس عن ابن إسحاق قال : ثم إنه قام فى نقضِ الصحيفة التى تكاتبت قريش على بنى هاشم ، وبنى المطلب ، نفر من قريش ، ولم يبل أحد فيها بلاء أحسن بلاء من هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن خُزيمة بن نَصر ابن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤى ، وذلك أنه كان ابن نَضْلة بن هاشـــم بن عبد مناف لأمه ، وكان عمرو ونضلة أخوين لأم ، وكان هشام لبنى هاشم واصلاً ، وكان ذا شرف فى قومه ، وكان فيما بلغنى يأتى بنى المغيرة وبنى هاشم وبنى المطلب فى الشعب ليلاً ، قد أوقر جملاً طعامًا ، حتى إذا أقبله فى الشِّعب حل خطامه من رأسه ثم ضرب جنبه ، فدخل الشعب عليهم ، ويأتى به قد أوقره بُرًّا أو بزا فيفعل به مثل ذلك .

ثم إنه مشى إلى زهير بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكانت أمة عاتكة بنت عبد المطلب ، فقال لزهير : قد رضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء ، وإخوانك حيث قد علمت لا يباعون ولا يباع منهم ، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم ، ولا يأمنون ولا يؤمن عليهم ، أما إنى أحلف بالله لو كانوا أخوال أبى الحكم بن هشام ثم دعوته إلى مثـــل ما دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبدا، قال : ويحـــك فما أصنع وأنا رجل واحد ؟! قال : فقال : قد وجدت ثانيًا ، قال : ومن هو ؟ قال : أنا أقوم معك فقال له زُهير : آبغنا ثالثا ؛ قال : وذهب إلى المطْعِم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف فقال له يا مُطْعِم قد رضيت أن تهلك بطن من بنى عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق عليه ، أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها سراعًا منكم ، فقال : ويحك فما أصنع إنما أنا رجل واحد ؟! فقال : قد وجدت ثانيًا ، قال : فمن هو ؟ قال أنا ، قال : فابغنا ثالثًا ، قال : قد فعلت ، قال : ومن هو ؟ قال : زهير بن أبى أمية ، قال : فابغنا

رابعًا يتكلم معنا ، قال : فذهب إلى أبى البَخْتَرى بن هشام فذكر قرابتهم وحقهم ، فقال : هل من أحد يعين على هذا ؟ قال : نعم ، المطعم بن عدى ، وزهير بن أبى أمية ، فقال : أبغنا خامسًا ، فذهب إلى زمْعَة بن الأسود بن المطلب بن أسد فكلمه ، وذكر له قرابتهم وحقهم ، فقال له زمعة : هل معك على هذا الأمر الذى تدعونى إليه من أحد ؟ فقال : نعم ثم سمى له القوم ، فتواعدوا عند خَطم الحجون ليلاً بأعلى مكة ، فاجتمعوا هناك وأجمعوا أمرهم ، وتعاهدوا على القيام فى الصحيفة حتى ينقضوها ، فقال زُهير : أنا أبدأ فأكون أولكم .

* حديث نقض الصحيفة :

فلما أصبحوا غدوا على أنديتهم ، وغدا زهير بن أبى أمية فى حُلة له فطاف بالبيت سبعًا ، ثم أقبل على الناس فقال : يا أهل مكة أنأكل الطعام ونشرب الشراب ، ونلبس الثياب ، وبنو هاشم وبنو المطلب هلكى لا يباعون ولا يباع منهم ، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم ، والله لا أذوق طعامًا ولا شرابًا حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة ، فقال أبو جهل ، كذبت والله - وهو فى ناحية المسجد - لا تشق هذه الصحيفة ، فقال زمعة بن الأسود : بل أنت والله أكذب ، ما رضينا كتابها حين كتبت ، فقال أبو البخْترى : صدق زمْعَة بن الأسود ، لا نرضى بما كتب فيها ولا نعرفه ، فقال المُطْعِم بن عدى صدقتما وكذب من قال غير ذلك ، نبرأ إلى الله عز وجل منها ومما كتب فيها ، وقال هشام بن عمرو مثل ما قالوا فى نقضها وردها ، فقال أبو جهل : هذا أمر قضى بليل تشوور فيه - يعنى بغير هذا المكان - وأبو طالب جالس فى ناحية المسجد يرى ما يصنع القوم ، ثم إن المطعم بن عدى قام إلى الصحيفة فشقها فوجد الأرضة قد أكلها [١] إلا باسمك اللهم[٢] وكان الذى كتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار فشلت يده فيما يزعمون ، والله أعلم .

فلما مزقت وبطل ما فيها قال أبو طالب فى ذلك مما كان فى أمر أولئك النفر فى نقضها يمدحهم :

---

(١) عند ابن هشام « آكلتها » .

(٢) فى أول الموضوع أنها لم تترك إلا الظلم .

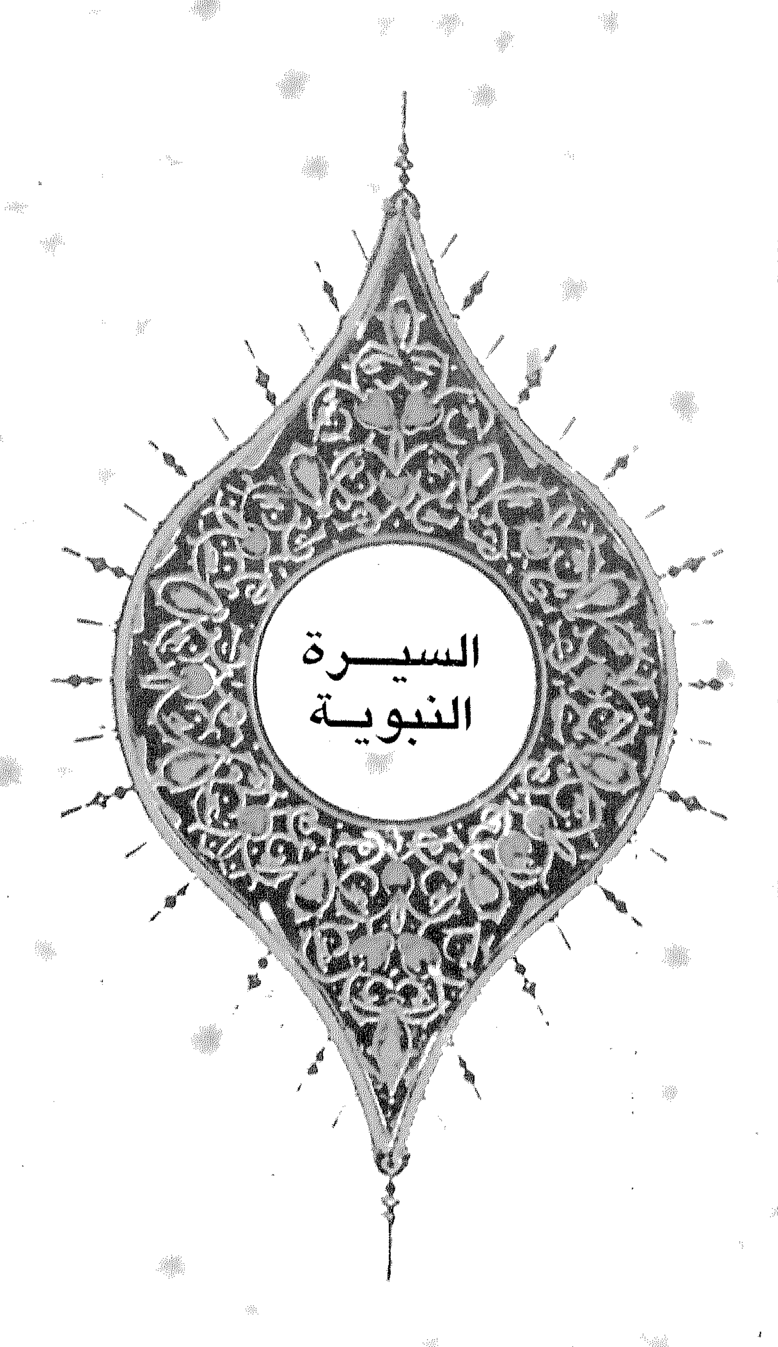
ألا هَلْ أتى الأَعْداء رَأفة رَبِّنَا عَلى نَأْيِهم وَاللهُ بالناس أَرْوَد
فَيُخْبِرهم أن الصحيفةَ مُزِّقَتْ وَأَنْ كَلّ مَا لم يَرْضَه اللهُ مُفْسد
تَداعى لها إِفْكٌ وَسِحْرٌ مُجمعٌ وَلَم يَلف سِحْرٍ آخر الدهر يصْعَدَ
تَداعى لها مَنْ لَيس فِيها بقُربة فَطائرها فى وَسْطهـــا يتَردد
أَلم تَكُ حـــقا وقعة صيلمية ليقطع فيها ساعـــد ومُقَلد
وَيظْعَنُ أهل ماكثـــون فيهربوا فَرائصهم من خـــشية الموت ترعد

● **عمرو وعمارة وذهابهما إلى الحبشة :**

نا أحمد : نا يونس عن ابن إســحاق قال : وقد كان عمارة بن الوليد بن المغيرة ، وعمرو بن العاص بعد مبعث رسول الله ﷺ ، ومشى قريش بعُمارة إلى أبى طالب قد خرجا تاجرين إلى أرض الحبشة ، وكانت لقريش ملجأ ووجهًا ، وهما على شركهما ، وكلاهما كان شاعرًا غازيًا فاتكا ، وكان عمارة رجلاً جميلاً وسيمًا ، يفتن النساء ، صاحب محادثة ، فركب البحر ، ومع عمرو بن العاص امرأته حتى إذا سارا فى البحر ليالى أصابا من خمر معهما ، فلما انتشى عمارة بن الوليد قال لامرأة عمرو قبلينى ، فقال عمرو : قبلى ابن عمك ، فقبلته ، فألقاها عُمارة بن الوليد فجعل يريدها عن نفسها ، فامتنعت منه ثم إن عمرًا قعد على منجاف [(١)] السفينة يبول فدفعه عمارة فى البحر ، فلما وقع فيه سبح حتى أخذ بمنجاف السفينة ، فقال له عمارة : أما والله لو عرفت يا عمرو أنك تسبح ما طرحتك ، ولكن كنت أظنك لا تحسن السباحة ، فلما قال ذلك عمارة لعمرو ضغن عليه عمرو فى نفسه ، وعرف أنه قد أراد قتله ومضيا فى وجههما حتى قدما أرض الحبشة كتب عمرو إلى أبيه العاصى ابن وائل أن اخلعنى وتبرأ من جريرتى إلى بنى المغيرة وجميع بنى مخزوم ، وخشى على أبيه أن يتبع بجريرته،فلما قدم الكتاب على العاصى مشى إلى رجال من بنى مخزوم ، ورجال من بنى المغيرة فقال : إن هذين الرجلين قد خرجا حيــث قد علمتم ، وكلاهما فاتك صاحب شر ، غير مأمونين على أنفسهما : ولا أدرى ما يكون ، إنى أتبرأ إليكم من عمرو وجريرته فقد خلعته ، فقالــت له عند ذلك بنو المغيرة ورجال من بنى مخزوم : وأنت [illegible] على عمارة ونحن قد خلعنا عمارة وتبرأنا إليك من جريرته ، فخلِ بين الرجلين ، فقال : قد فعلت ، فخلعوهما وتبرأ كل واحد من صاحبهم ، ومما جرَّ عليهم ·

(١) هو : مؤخرة السفينة الذى يحدد اتجاهها وتتجه به يمينًا ويسارًا ·




السيـــرة
النبويــة